منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض

المرأة الداعية

بين الواقع والمأمول

إعداد
خالد بن إبراهيم الصقعبي

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع بالرياض

المرأة الداعية

بين

الواقع والمأمول

ح مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الصقعبي، خالد بن إبراهيم
المراة الداعية بين الواقع والمأمول. / خالد بن إبراهيم الصقعبي
.- الرياض، ١٤٢٨هـ
١٢٨ص؛ ١٤×٢٠سم.
ردمك: ٩٩٦٠ - ٩٨٠٠ - ٩ - X
١ - المرأة في الإسلام ٢ - الدعوة الإسلامية أ - العنوان
ديوي ٢١٩,١ ١٤٢٨/١٣٠٢

جميع حقوق الطبع محفوظة لدار المنهاج بالرياض

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٢٨هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية . الرياض

المركز الرئيسي - طريق الملك فهد - شمال الجوازات
هاتف ٤٠٦٥٥٥٣ - فاكس ٤٠٨٣٦٩٨ - ص.ب ٥١٩٢٩ الرياض ١١٥٥٣
الفروع: طريق خالد بن الوليد (إنكاس سابقاً) ت ٢٣٢٢٠٩٥
طريق الأمير سعد بن عبد الرحمن (مخرج ١٥) ت ٤٤٥٦٢٢٩
المدينة النبوية - طريق سلطانة ت ٠٤/٨٤٦٧٩٩٩
مكة المكرمة - الشامية - ت ٠٢/٥٧٣٠٩٨٠

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* مدخل	٧
عوائق وعقبات في طريق الداعيات	١٣
أولاً: الداعية والمؤثرات الابتلائية	١٥
ثانياً: المرأة وتحدى المؤثِّرات المَرَضِيّة	٢٠
ثالثاً: المرأة والزوج	٢٤
رابعاً: المرأة والتعدد	٣١
خامساً: المرأة وقلة العلم	٣٦
سادساً: صعوبة التوفيق بين العمل والدعوة، والشؤون المنزلية (الارتباط بالأسرة)	٣٩
سابعاً: ضعف الهمة	٤٦
ثامناً: احتقار الذات	٤٩
تاسعاً: الحياء والخجل	٥٢
عاشراً: عدم تقبُّل المجتمع، والإعراض عن دعوة الداعي إلى الله	٥٥
الحادي عشر: العجز عن تغطية المنكرات	٥٨
الثاني عشر: الفوضوية وانعدام التخطيط	٦٠

الموضوع	الصفحة
الثالث عشر: الفتور	٦٦
الرابع عشر: افتقار الداعية للأسلوب المناسب في دعوتها ..	٧٦
الخامس عشر: العجز عن الحوار وتلقِّي المداخلات	٨٠
السادس عشر: جهل الداعية بأوليات الدعوة	٨٢
السابع عشر: عدم التجانس بين الموهبة، والعمل الدعوي ..	٨٥
الثامن عشر: افتقار الداعية للتواصل مع العلماء والدعاة	٨٨
التاسع عشر: الإعاقة الجسدية	٩١
العشرون: الحالة المادية	٩٤
الحادي والعشرون: الخشية من آفات القلوب، كالعُجب والرياء، ونحو ذلك	٩٧
الثاني والعشرون: المواصلات	١٠٠
الثالث والعشرون: عدم تَدَيُّن الأسرة	١٠٣
الرابع والعشرون: عدم استشعار المسؤولية للقيام بهذا الواجب	١٠٦
الخامس والعشرون: الفجوة بين الداعية وعامة النساء	١١٠
السادس والعشرون: الهزيمة النفسية	١١٣
السابع والعشرون: اختلاف فتاوى العلماء واحتجاج المدعو بآخر	١١٦
الثامن والعشرون: الصحبة	١١٩
التاسع والعشرون: التحمس العاطفي دون اتزان	١٢١
الثلاثون: عجز الداعية عن إعداد مادة علمية	١٢٤
- الخاتمة	١٢٦
* فهرس الموضوعات	١٢٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]. أما بعد:

فمما لا يختلف عليه اثنان أهمية جانب الدعوة

إلى الله ﷻ، وحيث إن هذه الوظيفة المهمة لا تقتصر على جنس دون جنس، كانت الحاجة ماسّة إلى المرأة الداعية، لكونها أقدر على الوصول إلى بنات جنسها، والتعامل معهن، ومن خلال تخصّصي في مجال المرأة وشؤونها، لحظت أن من يدخلن مجال الدعوة إلى الله تعالى كثير، ولكن الأكثر منهن يُصبحن صَرْعى على جنبات الطريق، نتيجة أدنى عائق من عوائق الدعوة، التي سأُعرِّج على شيء منها، مع ذكر بعض طرق العلاج.

من هنا جاءت هذه الرسالة، والموسومة بـ: «**المرأة الداعية بين الواقع والمأمول**».

سائلاً الله تعالى أن يكتب فيها النفع والقبول.

كتبه

خالد بن إبراهيم الصقعبي

مدخل

أختي الداعية:

أنت أمام تحديات، سأتعرض لشيء منها، وفي حالة مواجهة هذه التحديات لا يمكن أن تكوني مطالَبة بالاستسلام، ولا بمغادرة الأرض إلى الفضاء، ولا بتجاوز الواقع والخوض في متاهات الخيال، إنما هناك حلٌّ متمثل في تلك القدرات التي تملكينها، قدرتكِ على قبول التحديات، وقدرتكِ على شحن النفس لمواصلة العطاء، هناك حلول تصدر من جهة ضعيفة، يقبلها الضعيف فتزيده ضعفاً، هي نفسها الحلول التي يدفعها القوي فيزداد قوة. أما من تنشد السير في رَكْب الصالحات، فلا تلقي بالاً لما يبعدها عن هدفها، وهي حين تبحث عن الحلول، لا تلجأ إلى تلك التي تشدّها إلى أسفل، إنما تختار ما يرتفع بها ويرتقي. نعم، ذاك هو بديل الهجرة الجسدية، وهي الحل الأمثل، إنها الهجرة النفسية، التي لا أملك إلا أن أصنفها ضمن

أرقى أنواع الهجرة، بينما يعمل من حولكِ بتحدٍّ سافر إلى القعود بكِ عن معالي الأمور، من طلب علم ودعوة، أو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، تعمل نفسك في الطرف المقابل للحفاظ على ثباتها، وحين تتضافر كل العوامل الخارجية الهدامة للإطاحة بكِ، تتضافر قوى نفسك لتمنحك قدرة على المقاومة، ومن ثم الارتفاع بك لتحقيق معاني الرفعة، من هنا تدركين أهمية الهجرة النفسية.

إذا كانت الهجرة الجسدية فراقاً للأرض، فالهجرة النفسية فراق على الأرض لما عليها من شرور، وهذا يتطلب جهداً مستمراً، وكفاحاً متواصلاً، وألماً مضاعفاً؛ لأن من أعظم أنواع الثبات: الثبات أمام قوة التيار، فماذا لو كنت تسيرين عكس التيار، وإذا كانت الأولى فراقاً للأهل، فإن الثانية فراق بين الأهل وبين المجتمع، أو فراقٌ لما يسلكه الأهل والمجتمع مما لا يرضاه الله ﷻ، وهذا لا يقدر عليه إلا من ملك الهمة العالية، والقوة النادرة في مغالبة عواطفه وأهوائه.

أختي المباركة: ما كتبت هذا لأُرَسِّخ هذه التحديات في نفسك وحياتك، فالزمن كفيل بذلك لمن أسلمت الأمر إلى أهوائها وعواطفها، وإنما سللت قلمي

لأقول لك: كفى أيتها المباركة الصالحة عن التخلف عن رَكْب الصالحات.

هل أنت بحاجة إلى أن أذكرك بآية طالما قرأتِها، ولكنك لم تتدبريها ـ وهي أزمتنا كافَّة: عدم فهم القرآن الكريم وتدبّره ـ تلكم الآية في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

قال بعض الدعاة: «ها هي امرأة فرعون لم يصدّها طوفان الكفر الذي تعيش فيه، في قصر فرعون، عن طلب النجاة وحدها، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتاً في الجنة، وقد تبرأت من صلتها بفرعون، فسألت ربها النجاة منه، وتبرأت من عمله، مخافة أن يلحقها من عمله شيء، وهي ألصق الناس به ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾، وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم، ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾».

ثم يقول: «ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثلٌ للاستعلاء على عَرَضِ الحياة الدنيا في أزهى صورة؛ فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ، في قصر فرعون، أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي،

ولكنها استعلت على هذا بالإيمان، ولم تُعْرِض عن هذا العَرَض فحسب، بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاءً تستعيذ بالله منه، وتتفلّت من عقابه، وتطلب النجاة منه، وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية، وهذا فضل آخر عظيم، فالمرأة أشد شعوراً وحساسية بوطأة المجتمع وتصوراته.

ولكن هذه المرأة وحدها في وسط ضغط المجتمع، وضغط القصر، وضغط الملك، وضغط الحاشية والمقام الملوكي، في وسط هذا كله رفعت رأسها إلى السماء وحدها، في خضم هذا الكفر الطاغي، وهي أنموذج عالٍ في التجرد، ومن كل هذه المؤثرات، وكل هذه الأواصر وكل هذه المعوقات، وكل هذه الهواتف، ومن ثم استحقت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد، الذي تتردد كلماته في جنبات الكون، وهي تتنزل من الملأ الأعلى» انتهى كلامه.

أخواتي الكريمات: أنتنّ تردن أن تنهضن، وما لكن لا تنهضن، ومن ذا يذودكنّ عما شرع الله لكنّ من الحقوق، وهل أنتن إلا منابت حُماتنا ومواساة جراحنا، وبُناة نهضتنا، ومنار دعوتنا ومثار قوتنا، وهل نحن معاشر الرجال وإياكن، إلا كجناحي النسر الصاعد، إذا

هيض أحدهما خفض الآخر، فيصبح لا يجد في الأرض مقعداً، ولا في السماء مصعداً.

يا فتاة العقيدة: ليست المرأة بالخَلْق الضعيف النفس، فإن من احتمل ما احتملته في ظلمات التاريخ، من صلف بعض الأزواج إلى وقر الحَمْل، وألم المخاض، ودور الأمومة راضية مطمئنة، لا تكون ضعيفة أبداً، وليست هي بالخَلْق الحقير، فإن من وَكّله الله بابتناء الكون، وإنشاء الأمم لا يكون حقيراً، ألا إنما المرأة دعامة الكون، لا يزال ناهضاً مكيناً ما نهضت به، وهي كذلك بحمد الله تعالى.

يا فتاة الإسلام: أنت من سلالة أمهاتنا الأوليات، أولئك اللواتي نفخر بطيب أعراقهن وكرم أخلاقهن، وتلك دماؤهن ترقرق بين جوانحنا وأعطاف قلوبنا، ولا نزال نَحِنُّ إلى أمجادهن، لأن لنا في المجد نسباً عريقاً وطريقاً قويماً، ولا أحسبك يا فتاة الإسلام إلا امتداداً لتلك السلالة الصالحة.

دعيني أحدثك يا من خارت قواها وحارت على الأرض قدماها، فركَّبت مظهر النكول والانصراف مكان الجد والاجتهاد، دعيني أهتف لك بصوت عال؛ لأقول لك: الأمة لا تحيا بدعوة يصرف لها فضول الأوقات.

ثم أهتف أخرى، فأقول: الأمة لا تحيا بدعاة لا يقبلون التحديات.

عجيب، نسمع مقالاً، ونرى عملاً مخالفاً.

نسمع من يقول: طريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود. ولكننا نرى ضعفاً وخوراً عند أدنى عارض، الأمة التي تعيش هي التي تَنْظُر وتطبّق، وليست هي التي تَنْظر ولا تطبّق، فهيا معاً نحطم هذه العوائق والعقبات، بالإشارة إليها والقضاء عليها، بذكر بعض خطوات العلاج، لشحذ الهمة، وننحر بعد ذلك الكسل والتواني بمدية الجد والعزيمة والإصرار.

عوائق وعقبات

في

طريق الداعيات

أولاً

الداعية والمؤثِّرات الابتلائيّة

من خلال الاستبانات التي وزِّعت، وجد أن ١٩,٤٪ لا يرين أن المؤثرات الإبتدائية عائق أمام الداعية، و٢٨,٩٪ يرين أنه يؤثر أحياناً، بينما لا توافق ٥١,٥٪ من عيِّنة الدراسة على كونه عائقاً للداعية.

وأعني بالمؤثرات الابتلائية: ما يحصل لبعض الداعيات؛ كتلفيق تهمة، أو تهكّم وسخرية واستهزاء، وغير ذلك، مما لا يَعلم حدوده ومداه إلا الله، فكم من خَيِّرة مثلاً اتُّهِمت باختلاس بعض أموال التبرعات زوراً وبهتاناً، وكم من داعية تتعرض لأقسى أنواع الإذلال والإهانة والاحتقار، ليس من الأباعد فحسب، بل ربما كان ذلك من الأقارب. وقد يكون هذا الأمر ممن يعيشون معها تحت سقف واحد، وما إطلاق بعض الألفاظ الدارجة إلا أنموذجاً لذلك؛ فكم يؤذي مسامعَ الخَيِّرات عباراتٌ؛ من أمثال: المعقّدة، والمتزمّتة، وما سار في ركاب هذه الكلمات.

فهذه المؤثرات إذا نزلت بساحة الدعاة واكتنفتهم، وحاصرتهم من كل جانب، ورمتهم بكل تهمة باطلة، وصُوّب إليهم كل منكر من القول وزوراً، حينها تتأخر مسيرتهم نحو العزّ والنصر.

وفي تقديري أن هذا المؤثر من أعظم المؤثرات النفسية التي أسقطت الكثير على دروب الدعوة، بل آثر الكثيرات السلامة على الابتلاء، والعافية على المحنة، ليعشْنَ في الحياة، على رغدٍ من العيش، وفي مأمنٍ من تسلّط الظالمين.

ولا شك أن هذه الابتلاءات وأمثالها، لا تكفي واحدة منها أن تردّ الذين ينتظمون في سلك الدعوة لغرض المطامع الشخصية على أعقابهم مرتدين خاسرين، وصدق الله القائل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

أما الذين انتظموا في صفوف الدعوة، بقصد الإخلاص والصدق، وإعلان كلمة الله، فهؤلاء لا تردّهم عن مسيرتهم الدعوية فتنة، ولا تزعزعهم محنة، ولا يصرفهم ابتلاء، بل يثبتون في مواقعهم التي هم فيها كثبات الجبل العالي الأشمّ، لا يتأثرون بالأحداث، ولا

تزلزلهم حادثات الليالي، بل يكونون من الصنف الذي قال الله عنهم في محكم التنزيل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

إن من القضايا المسلّم بها في تاريخ الدعوات: أن الحق إذا وجد الباطل لا بد أن يكون معه في صراع، وأن صوت الدعوة المدوّي المجلجل، الآخذ بالقلوب إلى رحاب الإيمان، لا بد أن يثير مكائد الأعداء، وهنا تظهر الحقيقة الابتلائية في أجلّ معانيها، هل سيثبت الدعاة في مواقعهم نتيجة هذه المواجهة والصراع؟ هل يبدّلون ويغيّرون إذا عظم عليهم الخَطْب واشتد البلاء؟ إذا حصل لهم سببٌ وسخرية واستهزاء، هل ينعطفون في مسيرتهم الدعوية إلى دروب الإخلاد إلى الأرض وفتنة الحياة؟ كل ذلك سوف تظهر حقيقته، إذا مرّ الدعاة بمراحل الفتنة، وأطوار البلاء.

لقد قرر القرآن الكريم مبدأ الابتلاء والتمحيص على طريق المحنة بآيات واضحات بينات، فلماذا يكون هذا العائق سبباً في التخلي عن مجال الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

ومما لا يختلف عليه اثنان: أن الذين يصابرون، ويصبرون على طريق الدعوة، والجهاد، دون أن يكترثوا بفتنة، أو يبالوا باضطهاد، أو محنة، فإن سبيلهم رضوان الله وجنات عدن، عند مليك مقتدر، والقرآن الكريم قرر ذلك في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

علينا أن نعلم جميعاً أن من طبيعة الدعوات: الصراع، ومن طبيعة الصراع: الابتلاء، ومن طيبعة الابتلاء: تمحيص الذين يسيرون على طريق الدعوة، هل يثبتون أم ينهزمون؟.

يا فتاة العقيدة: قد نقبل من الداعية تخفيف جهدها ونشاطها، حال ابتلائها، مراعاةً لنفسيتها، لكن الذي لا يُقبل أبداً: أن تتخلى عن موقعها، وتولِّي منه إلى غير رجعة.

وتأملي في الحبيبة عائشة رضي الله عنها، في قصة حادثة الإفك، إنها حادثة اهتزت لها جنبات الأرض، محنة عاشتها سيدة من أشرف نساء العالم وأطهرهن، استغرقت ليالي وأياماً مريرة. نعم، لقد بلغ من عائشة هذا الأمر مبلغاً عظيماً، حتى كان من أمرها ما روته رضي الله عنها

حين قالت: «.... فمكثت يومي ذلك، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً، لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع، يظنان أن البكاء فالق كبدي...» الحديث(١). إنها محنة عظيمة، عاشتها عائشة رضي الله عنها، حتى أنزل الله تعالى براءتها، من فوق سبع سماوات، في قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

ويبقى السؤال بعد ذلك: ماذا كان موقف الصّدّيقة بعد ذلك؟

لقد انطلقت إلى بيت النبي ﷺ بعد نزول براءتها، تنشر دين الله، وتدعوا إلى الله، حتى كانت مرجعاً للصحابة رضوان الله تعالى عليهم، بعد وفاة المصطفى ﷺ، فهي الداعية بعد ذلك، والمُجاهدة والمُعلمة والمُفتية.

يكفي أيتها الداعية أن في موقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مثالاً يحتذى في الصبر على الابتلاء في طريق الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ثانياً

المرأة وتحدي المُؤثِّرات المَرَضِيّة

من خلال الاستبانة، أيدت ما مجموعه ٣٧٪ كون التحديات المرضية عائقاً، و٤٢٪ أحياناً، ورأت ٢٠٪ عدم كونه عائقاً. ومن المسلّم به: أن الإنسان يمر في أثناء حياته ببعض المؤثرات المرضية، التي تعكر على الإنسان صفو حياته، والمسلم من جنس هؤلاء البشر، وإن كان يتميز عنهم بالأجر العظيم إذا ما صبر واحتسب، والمرأة ربما كان لها النصيب الأكبر من ذلك، لما يعتريها من أمور فطرية تنتابها بين الفينة والأخرى، كالحيض والحمل، والولادة والنفاس، ونحو ذلك، وعلى أثر ذلك، كان التنحِّي عن طلب العلم والدعوة، في صفوف النساء، أكثر منها في صفوف الرجال.

إن من الطبيعي جداً أيتها الأخت الداعية، أن يمر الإنسان بعد المرض بمرحلة النقاهة، التي يستجمع فيها قوته، ويستعيد صحته، ليعود بعدها قوياً سوياً، يضرب بسهم في كلّ بابِ خيرٍ: التعبد والدعوة، وطلب العلم،

ولكن ليس من الطبيعي أبداً: أن تتعلل الداعية إلى الله، بعد الشفاء، بسوء الصحة والضعف، وليس من الحق والمنطق: أن تقعد عن الدعوة بحجة المرض الذي ألمَّ بها، بعد أن منَّ الله عليها بنعمة الصحة والعافية والقوة.

الداعية إلى الله كم هي بحاجة إلى مراجعة سيرة سيد الدعاة، صلوات الله وسلامه عليه، وأصحابه القدوات، من مربين وعلماء، ورجال إصلاح ودعاة إلى الله؛ فهؤلاء جميعاً، كانوا آية في الدعوة والجهاد، ومثلاً يُحتذى في الانطلاقة الدعوية، والعمل الدائب المستمر في سبيل الهداية والصلاح... إذ كان لا يقعدهم عن مسؤولية التبليغ كَرْبٌ، ولا نعمة، ولا رخاء، ولا شدة، ولا صحة ولا مرض، ولا غنى ولا فقر.

يا فتاة الإسلام: كم هي منحة من الله تعالى هذه المؤثرات المرضية، وذلك حينما تعلم المرأة فقرها وضعفها، في حال مرضها، حينها تتقرب إلى الله تعالى بالتعبد، والدعوة، وطلب العلم.

ذكرت لي إحدى النساء، تقول: «حينما كان عمري ما يقارب الخامسة والأربعين، بدأ يعتريني أرق، في رمضان، في أول الأمر، في العشر الأواخر منه، ثم في السنة الأخرى، حصل معي لمدة خمسة عشر يوماً،

ثم في السنة التي تليها أطبق عليّ الشهر كلّه، حتى إنني لا أنام فيه أبداً، وإنما آوي إلى فراشي للاسترخاء، ليس إلا». تقول: «قلت في نفسي: لا أدع الشيطان يغلبني إن شاء الله، فكنت أستغلّ ذلك الوقت الذي لا يأتيني فيه النوم، وهو وقت نومي في العادة، بالذكر والصلاة، حتى إنني أسقط في بعض الأحيان، وأنا أصلي من شدة الإعياء والتعب». تقول: «فما زادني ذلك إلا إصراراً على ما أنا عليه من الخير والتعبُّد بحمد الله تعالى، فإذا خرج شهر رمضان زال ما بي من الأرق، فأتذكر تلك الأيام الخوالي، فأقول في نفسي: كم هي محنة لكنها تحمل في طياتها منحاً عظيمة، فللّه الحمد والمنة».

بل لقد حدثتني امرأة أخرى، وهي معاقة الجسد، وقد تزوجت، ورُزقت بالأولاد من زوجها، ذكرت أنها ما كانت لتقف مكتوفة الأيدي، ورَكْبُ الصالحين والصالحات يمضي، قد سلكوا طرق الخير والدعوة.

تقول: «ففكرت في أمرٍ دعوي يلائم حالي، فاستقرّ أمري على القيام بالبحث عن المعاقات، لنقوم بتزويجهن». وقد قطعتْ في مشروعها شوطاً كبيراً، حتى قامت بضم هذا المشروع إلى إحدى الجمعيات الخيرية، وما زالت تقوم على إدارته، وهي تنتقل من نجاح إلى

نجاح، بل وأمنيتها: أن تعمِّم هذا المشروع على بقية مناطق المملكة.

وقد ذكر لي أحد طلبة العلم، وهو ممن يقوم على تعليم بعض طالبات العلم العلوم الشرعية، أن لديه طالبة معاقة، لا تستطيع السير إلا على عكازين، يقول: «تزوجَتْ هذه الأخت، وحَمَلتْ، وما زالت ترتاد الدرس، بل والعجيب أنها تصعد إلى الطابق العلوي بعكازيها، لحضور الدرس». فأكبرتُ فيها همتها.

أيتها الفاضلة أنا أدعوك أن لا تحول المؤثرات المَرَضِية بينك وبين مجالات الخير، أذكر لك كلاماً لأحد السلف رَحِمَهُ اللَّهُ، يعزّز مطلبي، ويؤكد قضيتي، حيث يقول: «إن قوة المؤمن في قلبه، ألا ترى إلى الشيخ الكبير، يقوم الساعات الطوال يصلّي، بينما ترى بعض الشباب لا يكاد يصلي الفريضة»[1].

(١) ينظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٣/ ١٥٢ رقم ٣١٧٤).

ثالثاً

المرأة والزوج

من خلال الاستبانات، أيدت ما مجموعه ٣٦٪ كون السبب عائقاً، و٤٠٪ أحياناً، و٢٣٪ أبدين عدم الموافقة على كونه عائقاً.

بينما هي كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة إلى أخرى؛ فهي ما بين عبادة ودعوة، تجتمع مع أخواتها على ذلك، وتتفرق عنهن على ذلك، فكان آخر عهدها بذلك ليلة زواجها، أما لماذا؟ فلأنها اقترنت بزوج غير ملتزم، فهو لا يحمل همّها، ولا يفكر بتفكيرها، وقد يكون مستقيماً ثم ينتكس.

أعلم ما يدور في أنفس الكثير من الخَيّرات، من إعراض الصالحين عن الصالحات لأي سبب من الأسباب، ولكن لتعذرني الأخوات، فمجال الحديث ليس هذا، ولكن مجال الحديث عن وجود هذه العقبة، وموقف الداعية منها.

لتسمح لي الأخت إذا قلت لها: ليست هذه

المشكلة وهذه العقبة بالحجم الذي تتصورينه. وحينما أقول ذلك لست بمدافع عن الرجال، لكوني من جنسهم، كلا، فما أردت من ذلك أن نتقاذف الاتهامات، نعم، هي صدمة حينما تتزوج الداعية، فيوصِدُ الزوج في وجهها جميع الطرق التي كانت تعتادها في طريق دعوتها، وطلبها للعلم.

ويحضرني في هذا قصة زوجة رياح بن عمرو القيسي، وهو من الأئمة الصالحين، تزوج رياح بامرأة، فإراد أن يختبرها، فلما كان من الليل تناوم، فقامت هذه المرأة الصالحة تصلي، حتى مضى ربع الليل، فنادته: قم يا رياح، فقال: أقوم... أقوم إن شاء الله، فقامت الربع الثاني، ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم ولم يقم، فقامت الربع الثالث، ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم، ولم يقم، فقالت: مضى الليل وعسْكَرَ المحسنون وأنت نائم، ليت شعري، من غرني بك يا رياح، من غرني بك يا رياح، قال: وقامت الربع الباقي.

كأني ببعض الأخوات تقول مثل هذا، ولكني أعادو الكرّة مرة أخرى لأقول: إن هذه العقبة مضخَّمة، قد تقول الأخت: كيف ذلك؟ فأقول: أساس المشكلة

ولبّها: أن بعض الأخوات تتخذ في مسار الدعوة وطلب العلم خطاً واحداً؛ فقبل زواجها كانت تخرج إلى المحاضرات واجتماع الأخوات، وهي في كُلّيتها كذلك، وحينما تتزوج، فإنها لا تعيش في كهف منعزل عن الناس، بل ستعيش في وسط الناس، كما كانت من قبل، بل لتسمح لي الأخوات، إذا قلت: إن بعض النساء بعد زواجها، ربما تكثر اجتماعاتها بحكم أنها أصبحت زوجة، فهي حينما كانت مقصورة بالاحتكاك بقرابتها فقط، أصبحت مطالبة بالاحتكاك مع ذلك بأقارب زوجها، إذاً نستطيع أن نلخص أن العقبة لا تكمن في عدم خروجها واحتكاكها بالناس لدعوتهم، كلا، وإنما أساس المشكلة هي في حصر الأخت للدعوة في خط معين لا تريد أن تتزحزح عنه بأي حال من الأحوال، وهي تنسى أو تتناسى، أن المؤمن كالغيث، أينما حل نفع، ولنا في دعوة الرسل في ثباتها، وفي تنقلها خير معين للمرأة في هذا المجال.

إذاً المسألة لا تعدو إلا أن تكون نقل حقل الدعوة من مكان لآخر وأن تكون تغيراً في منهج الحياة، بحكم أنها أصبحت زوجة؛ مما يعني ذلك نقل الدعوة من مكان لآخر، وهاك ما يدل على ذلك.

أعرف امرأة وقفتُ على قصتها: ذات زوج، وأم لأولاد، رغبتْ في مجال تشارك فيه بالدعوة إلى الله تعالى، فاستشارتني في ذلك، فأرشدتها إلى نفع قرابتها، خاصة حينما ذكرتْ أنها تجتمع معهم في الأسبوع مرة واحدة، وكأنها تقالّت ذلك، بعد أن كانت تخرج يوماً بعد يوم للدعوة، فقلت لها: قليل دائم خير من كثير منقطع، وفي سنة نبينا ﷺ: (أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)(١).

فبدأتْ بافتتاح حلقة لتحفيظ القرآن الكريم في ذلك الاجتماع، وقد مر هذا الاجتماع بعقبات ليست بالهينة، وتلك طبيعة الدعوة، ولكن النتيجة التي وقفت عليها بعد أربع سنوات: أربعون طالبة يدرسن في تلك الحلقة، وقد قُسِّم هذا العدد إلى أربع مجموعات، ابتداءً من الصغيرات، وانتهاءً بالأمهات، وكان من نتيجة هذا: طالبتان يحفظن ثلاثة عشر جزءاً، وثلاث طالبات يحفظن تسعة عشر جزءاً، والأمهات، صرن من أمهات لا يُحسنَّ الفاتحة، إلى حافظات لجزء أو جزأين.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ذلكم أنموذج، وأنت كما ترين النتيجة ليست بالهينة، يا ترى هل ستحصل مثل هذه الثمرة لو قعدت في سلك الدعوة القاعدات وتحججت بعقبة الزواج.

وقد تقول الأخوات: كانت ستحصل على نتيجة أكبر لو كانت تخرج للدعوة، فأقول لك: قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، مع أنني لا أخفي الأخوات سراً إذا قلت: إن هناك من تخرج للدعوة كثيراً، وهي مع ذلك لم تحقق ما حققته هذه المرأة، ويكفي في حال هذه المرأة أنها قامت بحق من أَمَرَ الله بالقيام بحقهم أولاً، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] في وقت أهملت فيه كثير من الخَيِّرات الداعيات قرابتهن.

ومن باب مشاركة الأخت حتى تتغلب على هذا العائق وما سواه من العوائق التي تمنع خروجها إلى مجالات الدعوة، أذكر طرفاً من الوسائل التي تستطيع من خلالها أن تتغلب على هذا العائق.

١ ـ **الأسرة**: فتستطيع أن تؤثر على أطفالها، ووالديها، وإخوانها، وخادمتها، دون عائق.

٢ ـ **الدراسة**: سواء كانت طالبة أو معلّمة، فتستطيع أن تؤثر على الزميلات والمعلمات.

٣ ـ **الأقارب**: فتستثمر الجلسة العائلية، والجلسة مع الأقارب، فتؤثر فيهم عن طريق قصة تقف معها بعض الوقفات، أو مسابقة هادفة تتخللها بعض الأحكام الفقهية، والتعليق على بعض الآيات والأحاديث.

٤ ـ **الكتابة في المجلات الحائطية في المدارس وأماكن العمل**، والمشاركة في المجلات الإسلامية، والرد على الأفكار الهدامة في بعض المقالات.

٥ ـ **المستشفيات**: فيمكن للمرأة أن تستثمر فترة انتظارها بالتأثير على من حولها من المراجِعات والممرضات، ووضع الكتيبات والمطويات النافعة على أرفف المكتبات الموجودة في استراحات المستوصفات والمستشفيات.

٦ ـ **استغلال الذهاب إلى الأسواق للأمر** بالمعروف والنهي عن المنكر بالكلمة الطيبة والكتيب النافع والمطوية والشريط.

٧ ـ **استغلال الذهاب إلى الحدائق والمتنزَّهات النسائية للدعوة إلى الله تعالى**[1]: أجزم: لو أن المرأة

(١) ويجب على المرأة أن تحذر من الذهاب إلى المتنزَّهات المختلطة؛ فهي بلاء وشرّ مستطير.

المسلمة استثمرت خروجها لهذه الأماكن للدعوة إلى الله تعالى، لكان لها سهم وافر، ونصيب كبير في مجال الدعوة إلى الله تعالى، ولتهاوت جميع تلك العوائق التي تعوق المرأة عن الدعوة إلى الله بحجة عدم تمكُّنها من ارتياد أماكن الدعوة، تحت ذريعة أي عائق.

رابعاً

المرأة والتعدد

بينما هي امرأة من خِيرة النساء في الدعوة وطلب العلم، فجأة وإذا هي تغرّد خارج السرب، ما السبب؟ إما لأنها اقترنت بمعدّد، أو تزوج عليها زوجها بزوجة أخرى.

والنتيجة: الانشغال بهذه الحياة الجديدة، فربما تنازلت هذه الخَيّرة عن أمور كثيرة إرضاءً لزوجها، ومحاكاة لضرّتها، بل: ربما ارتكبت أمراً محرماً في سبيل ذلك، أنا لا أُلقي القول جُزافاً، فكم من امرأة خَيّرة تغيرت ملامحها في سبيل ذلك، بل قد يتطور الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك، مناوشات، ومهاوشات، وولوغ في عِرض ضَرَّتها وكأنها ليست بمعصومة العِرض.

نعم، كيف يسوغ لهذه الداعية أن تُحَذّر من شيء أصبحت هي تتلبس به، أو تأمر بشيء هي أصبحت تتنصّل منه؟ وعلى أقل الأحوال، ربما أصيبت بقسوة القلب نتيجة ولوغها في عِرض جارتها.

أيتها المباركة: لا أريد أن أنتزع منك غيرةً جَبَلَ الله تعالى عليها النساء، فقد غارت أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها كما قال ﷺ: (غارت أمكم)[١].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «وقوله: (غارت أمكم) اعتذارٌ منه ﷺ، لئلا يحمل صنيعها على ما يُذَمّ، بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة، فإنها مركّبة في النفس، بحيث لا يقدر على دفعها».

ولا أريد كذلك أن أُحرّم عليك زينة جُبلت المرأة على حبها، ما دامت في حدود الشرع، لكن الذي لا يمكن قبوله هو التقافز على الأحكام الشرعية، تركاً للواجب، وفعلاً للمُحرَّم، تحت مسمّى: الضرّة، ومجاراة للضرّة، حينها تذوب شخصية هذه الداعية في شخصية الأخرى، التي ربما كانت غيرَ مستقيمة، بينما كان المُؤمّل أن يحدث العكس تماماً.

أيتها المباركة: إن عائشة رضي الله عنها، التي ألقت الصحفة، ونثرت الطعام، حينما أرسلت إحدى نساء النبي ﷺ إليه، طعاماً في يومها، عائشة التي فعلت ذلك، هي المُحَدّثة، وهي العالمة، وهي الداعية، وهي

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

التّقيّة، وهي التي قال فيها النبي ﷺ كما في حديث أنس رضي الله عنه: «وفضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام»(١).

إنه لا يليق بالمرأة الداعية أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وإن المؤمّل بالأخت الصالحة، ألا تصرفها هذه الفتنة ـ إن صحت تسميتها بذلك ـ عن الاستمرار في طريق الخير. نعم، كان المؤمّل فيها أن تترفع عن السفاسف والمهاترات مع ضرّتها، لأنها تعلم أنها إنما خُلقت لهدف هو أسمى من ذلك؛ فهي تعلم أنها صاحبة رسالة سماوية، حينها تربأ بنفسها أن تَخْلُد إلى الأرض أو تتبع هواها، نعم إن التخلّي عن المهمة الأساسية التي خلقت من أجلها، وهي التعبد لله تعالى وإقامة شرع الله، والدعوة إلى ذلك إسفاف، وإخلاد إلى الأرض، لا يليق بالمرأة المسلمة العاقلة أن تفعل ذلك، ومن العجيب أن الفتاة الخيّرة الصالحة ربما استمعت إلى كلام من يكبرها

(١) أخرجه البخاري (٣٧٧٠)، ومسلم (٢٤٤٦).

سناً، من اللواتي لا همّ لهن إلا الاستحواذ على الزوج، وإن كان في ذلك هضم لحق الزوجة الأخرى.

ومن الطريف أنه أثناء الكتابة في هذا الموضوع، بل الكتابة في هذا العنصر بالذات، اتصلت بي إحدى الأخوات، حيث ذكرت أنها امرأة مستقيمة، داعية وتحفظ من كتاب الله عشرين جزءاً، وتزوجت برجل معه زوجة أخرى، وهي تذكر أنه يأتي إليها في نوبة الأخرى، وأن قريباتها شجّعنها على قبول ذلك. فقلت لها: وأنت ما رأيك؟ هل يجوز ذلك؟ فقالت: «أعرف عدم جواز ذلك، ولكن: كل من حولي يشجعنني على قبول ذلك». فقلت في نفسي: لو قَبِلت هذه المرأة مثل هذا الكلام، كيف سيكون حالها مع الدعوة إلى الله، ومع طلب العلم، أترك الإجابة على هذا السؤال للأخوات، ولكني أستطيع أن أقول: كم ستكون الطامة كبرى، إذا تركت المرأة الأمر لعاطفتها، وكم ستكون مساحة الدعوة وطلب العلم، في نفس هذه المرأة.

ولكن مع ذلك هناك نماذج وَضّاءة في التغلّب على العاطفة، دونكِ هذا الأنموذج حتى تتيقني أن الأمر ليس بصعب المنال.

فقد كتبت لي إحدى الأخوات قصة تقول فيها:

موقف فتاة تزوجت، وبعد فترة من زواجها، كان من حولها يتناقلن خبراً يخصها، تقول هذه الأخت: «فسألتها وأنا متعجبة، أحقاً ما سمعت؟ قالت: نعم». وأما ذلك الخبر، فهو كما تقول: «تزوجتُ بشاب، كان متزوجاً قبلي، وأنجبتْ منه زوجته بنتاً، فحصل بينهما خلاف، أَوْدَعها عند أهلها، لكنه لم يطلقها، وأنا أقوم بدور المصلح بينهما، لأنني كلّما تذكرت أجر الإصلاح بين الناس فرحت، فكيف بمن يصلح بين زوجين، ويسعى بينهما بخير، مع أنني، والله الذي لا إله إلا هو أعيش معه عيشة راضية هنيّة، ولكن من يضمن لي دوام هذا؟ أنا مِن جنس النساء، أتضايق من الضرّة، ولكن لماذا أفكر في نفسي، لو كنت زوجته الأولى، لتمنيت العودة لبيتي، أفلا أحب لغيري، ما أحب لنفسي؟». حتى تقول: «وما ذنب تلك البُنيّة، إني أتمنى لها ما أتمنى لأولادي، لا أريد أن تكون عُرضة للضياع في مستقبل الأيام». حتى تقول: «دعوني أكمل مسعاي، وأسأل الله تعالى أن ييسر لي الخير حيث كان».

هل رأيت أيتها المباركة امرأة تغلَّبت على مشاعرها وعواطفها كهذه؟ أين هذه ممن قَصّرت في حق الله تعالى، وفي حق نفسها، ورضيت أن تكون من القاعدات، بعد أن كانت من السابقات إلى الخير والصلاح.

خامساً

المرأة وقلة العلم

كم هنّ النساء الخَيّرات بحمد الله تعالى. إن الذي يتأمل في تلك الأفواج الكبيرة من طالبات دور تحفيظ القرآن الكريم، يجد أنه أمام عدد ليس باليسير بحمد الله تعالى ومنّته.

ولكن المرء يحار، وهو يرى قلة الأخوات المشاركة في المجالات الدعوية، والقريب من هذا المجال يرى شُحّاً وهُوّة كبيرة تحتاج إلى ردم، ومن أكبر أسباب ذلك: التذرُّع بقلة العلم، وهذا العائق قد يكون القاسم المشترك بين كثير من الأخوات، ومن أكثرها شيوعاً.

وفي استبانة أجريت على ما يقرب من مائة وستين فتاة، وكانت بعنوان: عوائق في طريق دعوة المرأة، فقد ذكرتْ ما يقرب من ٥٨,٥٪ أن هذا عائق من عوائق الدعوة، بينما ذكرت ما نسبته ٢٨,٩٪ أنه عائق أحياناً، بينما بلغت نسبة عدم المؤيدات كونه عائقاً ١٢,٥٪ فقط، وهي نسبة قليلة، بالنظر إلى من جزمن أنه من

العوائق، أو رأين أنه أحياناً يكون عائقاً من عوائق الدعوة.

وعلاج هذا العائق من جهتين هما:

١ ـ معرفة أن تبليغ العلم لازم:

لا شك أن الجهل بالنصوص الشرعية، والتي تأمر بالقيام بهذا الواجب، هو السبب في ترسيخ هذا العائق، فإن سوء الفهم للحقائق الشرعية هو أعصى ما يكون عن التصحيح، ولقد جاءت النصوص الشرعية آمرة بالقيام بهذا الواجب، بحسب قدرة الإنسان واستطاعته، ولذا قال النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: (بلّغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار)(١).

بل وأصرح من هذا: حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: (أتينا رسول الله ﷺ، ونحن شَبَبَة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا، فَسَأَلَنا عمن تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: (ارجعوا إلى أهليكم،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

فأقيموا فيهم، وعلّموهم ومروهم، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم)[١].

ومن فوائد هذا الحديث كما ذكر أهل العلم: أنه لا يلزم أن يكون الداعية ملمّاً بكل الأحكام الشرعية، لأن هؤلاء أقاموا عند النبي ﷺ عشرين ليلة، وقد بعثهم النبي ﷺ دعاةً، ومن المؤكد أنهم لم يعلموا كل شيء لقصر المدة التي أقاموها، ولكن نقول: يكفي أن يكون الإنسان عالماً بما يأمر به، وينهى عنه، فعُلِم من ذلك بطلان هذه الحجة.

٢ ـ الحرص على طلب العلم:

لم نفترض أن الحلّ إنما يكمن في ترك مجال الدعوة إلى الله تعالى تعلّقاً بهذه الحجة الواهية؟ بينما كان المنطق السليم هو الحرص على التعلم، حتى تكون الأخت الداعية على أهبة الاستعداد للقيام بهذا الواجب، وإلا ستكون هذه الحجة هي محض افتراء لتبرير القعود عن القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٨)، ومسلم (٦٧٤).

سادساً

صعوبة التوفيق بين العمل والدعوة، والشؤون المنزلية (الارتباط بالأسرة)

هناك فئة من الداعيات، قد لا يكون الزوج مانعاً وعائقاً لها، في طريق الدعوة إلى الله تعالى، ولكنها تتعلّل بعد ذلك بالارتباطات الأسرية، وما يتبع ذلك من مناسبات ونحو ذلك.

ومن خلال الاستبانة، ذكرت ما مجموعه ٣٧٪ أنه من العوائق، و٣٢,٧٪ أحياناً، و٣٠٪ أنه ليس بعائق.

ومن خلال عملي في مجال دعوة المرأة، لعلّي لا أبالغ، ولا أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إنها من أكبر المشكلات التي تواجه الدعاة، الذين يعنون بتربية المرأة وتعليمها؛ إذ بسبب هذا العائق تتحطم كثير من المشاريع الدعوية في صفوف النساء، وهي كذلك من أكبر المشكلات التي تواجه الداعيات، وعندها تُحيط كثير من الأحلام والأمنيات؛ فإذا تزوجت، وواجهت الحياة العملية تبخرت تلك الآمال، وذابت تلك المشاعر، ولم

تعد تملك منه إلا الحسرات والذكريات، حتى أصبح كثير من الفتيات الآن لا يملكن إلا أن يقلن: كنا نفعل كذا وكذا، لكنهن لا يستطعن بحال أن يقلن: نحن الآن نفعل كذا وكذا.

وتوطئة إلى حلٍّ لهذا العائق وعلاجه أقول: نخطئ حينما نطالب المرأة المتزوجة أو العاملة بالمطالب نفسها التي تُطلب من غيرها، نقول هذا مدخلاً لتهيئة الأخت الكريمة، من أجل أن تتقبل جرعات العلاج التي سأتطرّق لها. من جهة أخرى أطالب الأخوات الداعيات، ممن كن يسرن مع هؤلاء الأخوات، الرفق بهن، وعدم مطالبتهن بشيء يفوق طاقتهن.

وأجد من المناسب أن أنادي الأخوات بنداء فتاة داعية تزوجت، فكتبت رسالتها، تقول: «كثير من الأخوات، وممن كن معهن سوياً في طريق الطلب، ومجال الدعوة، لا يُقدّرن ظروف الحياة الزوجية والأسرية، ويطلبن منها أن تكون كما هي قبل الزواج، يتردد على ألسنتهن: الزواج مقبرة الدعاة، كم من واحدة تزوجت ولم تتغير، انشغلت مع أهل الزوج في الزيارات والمناسبات، وما سوى هذا القاموس، من الكلام الجارح». ثم تقول: «ونحن نقول: كفاكن تحطيماً، أمن

أجل عدم المشاركة في مجال أو مجالين، تظنون ذلك تغيّراً؟ من لم يجرب الحياة الزوجية، والمسؤوليات الأسرية، لا يستطيع التحدث، نسأل الله الثبات»اهـ.

وحتى لا نجاوز الحقيقة، فيجب أن نعرف أن مسؤولية الارتباط بالأسرة بعد الزواج لا بد وأن تشكّل عائقاً، ولكنها ليست مانعاً، وفرقٌ بين الأمرين، ولا أدّعي أنني أملك حلاً لهذه المعضلة، خاصة إذا كانت الداعية ممن تتعلّق بأدنى حجة، للتنصل عن هذا الطريق، ولكنني في هذه الأسطر، سأحاول معالجة هذه العقبة من خلال النقاط التالية:

١ ـ **تقوى الله** ﷻ: كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

فالتقوى هي أول علاج، والتقوى ليست معنىً غامضاً، كما يتصوره البعض، ولكني سأذكر بعض الأمور التي تتقي المرأةُ فيها ربَّها، حتى تتسنَّى لها الدعوة إلى الله تعالى، وليس القعود بحجة الارتباطات الأسرية.

فمن ذلك: أن تختصر المرأة ثلاث ساعات

تجلسها أمام المرآة، وهي تعبث بوجهها وشعرها، وكأنها إنما خُلقت لذَلك، لتختصر ذلك إلى نصف ساعة مثلاً، دون تفريط في العناية بجمالها لزوجها، والذي هو جزء من شخصيتها وفطرتها.

ومن ذلك: أن تختصر مكالمة هاتفية مع زميلتها من ساعتين مثلاً، إلى عشر دقائق مثلاً.

ومن ذلك: أن تقتصد المرأة في نومها. وأحسب أن هذه النقطة بالذات، لو راعتها المرأة، لوجدت مساحة شاسعة من الوقت للدعوة إلى الله تعالى، فكثرة النوم من عادات الجاهلية، كما كان امرؤ القيس يمدح معشوقته، وكان يقول: نؤوم الضحى؛ فهو يمدحها بكثرة نومها، لكن في الإسلام، مضى عهد الإكثار من النوم، فأصبح المؤمن مطالباً بأن يكون قسطه من النوم مجرد استعداد لاستئناف حياة من البذل والجهاد، ومعاذ رضي الله عنه كان يقول لأبي موسى رضي الله عنه وهما باليمن حينما سأله عن قراءته للقرآن: (أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي)[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤١ و٤٣٤٢)، ومسلم (١٧٣٣).

٢ ـ تنظيم الوقت، وترتيب الأوَّليات: وهذا من العدل الذي أمر الله تعالى به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ . . .﴾ الآية [النحل: ٩٠]، ولو أن المرأة أفلحت في ضبط وقتها، وتوزيعه بطريقة معتدلة، لكسبت وقتاً كثيراً، فالفرض يُقَدم على النفل، والضرورات تقدم على الحاجات، والحاجات تقدم على الأمور التكميلية التحسينية. وليس من العدل كذلك إهمال الزوج والأولاد بحجة الدعوة، وليس من العدل كذلك أن تقعد عن الدعوة إلى الله التي هي فيها على ثغرة من ثغور الإسلام، يخشى أن يؤتى الإسلام من قِبَلِها. فبتنظيم الوقت، ومراعاة الأوَّليات، تستطيع أن تعطي كل ذي حقّ حقّه، بعون الله تعالى.

٣ ـ لا بد من شعور المرأة أن الدعوة إلى الله تعالى تشمل كل مناحي الحياة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] فالكلمة الطيبة صدقة ودعوة، كما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[١]، وحينما تَلْقَيْن أختك بوجه طلق، فهو معروف ودعوة، كما روى ذلك

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩).

أحمد[١]، والترمذي[٢]، والحاكم[٣]، عن جابر رضي الله عنه: (وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْق، وأن تُفْرِغ من دلوك في إناء أخيك)[٤].

وقيام المرأة خلف زوجها الداعية، تشد من أزره، وتحفظ له بيته وماله وتقوم على تربية أولاده: دعوة، بل والوسائل الدعوية التي استجدت الآن، ويسهل التعامل معها: علاج لإزالة هذا العائق.

ولا أحسب الأخت الداعية إلّا وهي تدرك كثيراً من هذه الوسائل التي تكون عن طريقها داعية إلى الله تعالى، مع ارتباطها بأسرتها، والقيام بحقها. ويكفينا من هذه المرأة استثمار مجال عملها في الدعوة إلى الله تعالى بشكل لا يؤدي إلى التفريط فيما هي مؤتمنة عليه، وهو القيام بعملها.

٤ ـ من ذلك أيضاً: عمل الداعية في محيط أسرتها وقرابتها، وهذا الجانب ليس بنفل تتطوع به الداعية إلى الله، بل هو واجب عليها، كما قال تعالى:

---

(١) في «مسنده» (٣/ ٣٦٠ رقم ١٤٨٧٧).
(٢) في «سننه» (١٩٧٠).
(٣) في «المستدرك» (٢/ ٥٠).
(٤) وأصله في «صحيح البخاري» (٦٠٢١).

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] في محيط أسرتها الذي تقطن فيه صباح مساء، وفي محيط قرابتها الذين تلتقي بهم بين الفينة والأخرى، ولو قامت كل داعية بهذا الواجب، لكفانا ذلك منها، وإن كنا نطمح منها بما هو أكثر من ذلك.

سابعاً

ضعف الهمة

من خلال الاستبانة، بلغت نسبة اللاتي يرين هذا السبب عائقاً عن القيام بواجب الدعوة ٦٦٪ وهي نسبة عالية، و٢٧٪ أحياناً، و٦,٩٪ فقط، لا يرينه عائقاً.

والذي يظهر لي أن من أسباب بروز هذا العائق أمور منها:

١ ـ عدم استشعار كثير من النساء حاجة الأُمّة، وبالأخص النساء، إلى القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

٢ ـ عدم شعور كثير من النساء أنهن معنيات بالدرجة الأولى للقيام بالدعوة إلى الله تعالى.

٣ ـ المجتمع المحيط بالمرأة قد يضعف هِمّتها؛ لأن هذا المجتمع قد يكون ممن يهتم بسفاسف الأمور وقشورها.

٤ ـ لا أبالغ إذا قلت: قد تكون العوائق كلها مجتمعة سبباً في ضعف همة كثير من النساء للقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

أما العلاج ففي تصوري إنما ينطلق من جهتين:

الجهة الأولى: من قِبل بعض الداعيات عاليات الهمة، وذلك من خلال الأمور الآتية:

١ ـ قيام الداعيات بالحديث عن أهمية الدعوة ومكانتها وحاجة الأمة إليها، وذلك في أوساط المستقيمات، لرفع همّتهن؛ لأنه يُلحظ أن حديث الداعيات يتركز كلّه في الغالب لغير المستقيمات، في التنبيه على بعض الأخطاء والمحاذير الشرعية، وهذا طيّب، ولكن يجب أن يكون للداعيات قدر من الحديث في أوساط المستقيمات، بما يلائم حالهن، وما يجب عليهن.

٢ ـ تأليف الكتيبات والرسائل التي تُعنى بإبراز هذا الجانب.

٣ ـ الحديث عن العوائق في طريق الدعوة إلى الله، ومحاولة علاجها، وهذا من أعظم أسباب رفع الهمّة، وهذه الرسالة إنما هي جزء من المساهمة في هذا المجال.

الجهة الثانية: من قِبل من أصيبت بضعف الهمة، فعلاجها يكون من خلال الأمور الآتية:

١ ـ الاطلاع على سِيَر العلماء والدعاة المُعلّمين المُصلحين، وعلوّ همّتهم في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

٢ ـ مجالسة ذوات الهمم العالية، لتأخذ منهن، وتتعلم، والحذر الحذر من مجالسة التافهات الفارغات، اللواتي لا تتعدى اهتماماتهن اللّبس والموضة.

٣ ـ أن تعلم المرأة خطر السكوت عن المنكر، خاصة إذا تعيّن في حقّها، ووجب عليها، فيما إذا رأت المنكر بعينها، أو سمعت عنه، وليس هناك من يقوم بالإنكار سواها.

ثامناً

احتقار الذات

عبارة نسمعها كثيراً: من أنا حتى أكون داعية؟. ومن خلال الاستبانة، بلغت نسبة من توافق على كون هذا السبب عائقاً ٤٩,٧٪، و٢٦,٤٪ أحياناً، و٢٣,٦٪ بعدم الموافقة.

وعلى كل حال، يبقى هذا العائق من العوائق التي تتعلق به بعض الأخوات لترك هذا المجال. والمتأمل لكثير من العوائق التي تعوق المرأة عن مجال الدعوة إلى الله إنما هي عوائق موهومة في كثير من الأحيان، وهي من نسج خيالات الشيطان وتثبيطه، وهناك أسباب كثيرة بمجموعها ينشأ عنها هذا العائق، فمن ذلك:

١ ـ اعتقاد البعض أنها لا بد أن تملك علماً كثيراً، حتى ينطبق عليها وصف الداعية. وقد سبق الإجابة على هذا الأمر عند العائق الخامس، فليراجع هناك[١].

---

(١) ينظر (ص٣٦).

٢ ـ اعتقاد البعض أن الدعوة تنحصر في الكلمة، والمحاضرة، ولذا فهي ترى أنه لا قدرة لها على مواجهة المدعوات، والتحدث أمامهن، ولذا يجب أن تفهم الأخت المباركة أن وسائل الدعوة إلى الله كثيرة، في غالبها لا تحتاج إلى مواجهة مجتمع النساء، والتحدّث معهن.

وبالجملة: فما تقدم من العوائق، وما سيأتي منها قد تتذرَّع بها الداعية، فينتج عن ذلك ثمرة مرّة؛ وهي: من أنا حتى أكون داعية؟. مع أننا نرى هذه الأخت المباركة قد برزت في أمور حياتها، فهي كافحت سنوات طويلة، حتى نالت على أثر ذلك شهادة عالية، وهي تدير مع ذلك أمور حياتها بكل نجاح واقتدار، ولم تقل في يوم من الأيام: من أنا حتى أكون موظفة، أو زوجة وأماً لأولاد.

ولعلاج هذا العائق آمل من الأخت الكريمة أن تتأمل هذين الأنموذجين، وسأترك لخيالها بعد ذلك أن يتأملهما، ولن أعلّق عليهما، وهما:

١ ـ قيام النملة بواجبها تجاه النمل حينما قالت: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

فنصحت هذه النملة، وأسمعت النمل، ولم تحتقر ذاتها وضعف خَلْقها.

٢ ـ موقف الهدهد، ذلك الطائر العجيب، حينما أنكر على ملكة سبأ وقبيلتها عبادتهم للشمس والقمر من دون الله، قال الله تعالى حاكياً عنه: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٤، ٢٥].

لقد أدرك الهدهد أن السجود لا يكون إلا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض، وأنه هو ربّ العرش العظيم، فصاح منكراً: ولذا قال بعض أهل العلم: «لا يكون الهدهد أغيرَ منك على عقيدة التوحيد».

فتأملي أختي المباركة حال النملة والهدهد، حيث لم تحتقر النملة ذاتها، وكذا الحال بالنسبة إلى الهدهد، فقام كل منهما بالنصح والتوجيه والإرشاد، بحسب القدرة والاستطاعة، فكيف تتخلفين بعد ذلك عن مجال الدعوة، تحت دعوى احتقار الذات، مع أن الله تعالى فَضّلك على سائر المخلوقات بالعقل الذي تتميزين به.

تاسعاً

الحياء والخجل

من خلال الاستبانة، بلغت نسبة اللاتي يرين هذا السبب عائقاً أمام الداعية ٤٩٪، و٣٨٪ أحياناً، و١٢٪ بعدم الموافقة.

هذا العائق الموهوم المصطنع، أبقى كثيراً من النساء صرعى على جنبات الطريق، كم من امرأة يغيظها رؤية المنكرات، ولا ترتضيها، يحصل لها من الهم ما الله به عليم حال رؤية المنكرات، ولكنها تسكت عنها تحت ذريعة الحياء والخجل، وربما ليس على نفسها، وقد ورد من حديث عمران بن حصين، قال: قال ﷺ: (الحياء لا يأتي إلا بخير)[١] بل إن بعض النساء ربما تعرّض لها بعض الفسقة في السوق ونحو ذلك، فتركت الإنكار عليه، ليس إقراراً منها بفعله، ولا رضىً، ولكنه الحياء.

(١) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

ولعلاج هذا العائق لا بد أن تعلم المرأة المسلمة أن الحياء الذي يحمل الإنسان على ترك الواجب، وفعل المحرم إنما هو حياء مذموم، وهو ليس بالحياء الشرعي المقصود؛ ففي حديث سالم بن عبد الله عن أبيه: أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: (دعه، فإن الحياء من الإيمان)(١).

والحياء على قسمين: حياء محمود، وهو: ما يحمل الإنسان على فعل الواجب، وترك المحرّم، وحياء مذموم، وهو ما يحمل الإنسان على ترك الواجب، وفعل المحرم، وتسميته حياءً مجازاً، وإلا فهو خَوَر وضعف وعجز وذلة ومهانة(٢).

فعُلِمَ من ذلك أن ترك مجال الدعوة إلى الله تعالى، تحت ذريعة الحياء والخجل، ليس بمشروع، بل هو بخلاف الأوامر الشرعية.

ثم يجب على المرأة المسلمة أن تتأمل في سيرة

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٨)، ومسلم (٣٦).

(٢) ينظر: «فتح الباري» (١/ ٢٢٩)، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/ ٥).

قدوتها: محمد ﷺ، فقد كان أشد حياءً من العذراء في خِدرها، ومع ذلك: لم يكن يمنعه ذلك من إنكار المنكر إذا انتُهكت محارم الله ﷻ، بل كان يُعرف الغضب في وجهه عليه الصلاة والسلام، وربما علا صوته في الإنكار، كما في حديث أبي مسعود الأنصاري، قال: قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة، مما يُطوّل بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشدَّ غضباً من يومئذ، فقال: «يا أيها الناس: إنكم مُنفّرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف، وذا الحاجة»[١]. والوقائع في ذلك كثيرة يصعب حصرها، وبناءً على ذلك عُلم بطلان هذا العائق.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٠)، ومسلم (٤٦٦).

عاشراً

عدم تَقَبُّل المجتمع
والإعراض عن دعوة الداعي إلى الله

من خلال الاستبانة، كانت نتائج هذا العائق ما يلي: ٣٠٪ موافقات، و٣٩,٦٪ أحياناً، و٣٠٪ بعدم الموافقة. ومفاد هذا العائق: تغير المجتمع وفساده، وعدم تقبله للدعوة، سواء أكان ذلك على مستوى الأقارب، أم المجتمع بمجموعه. ولا شك أن هذا لا يعد سبباً في ترك الدعوة إلى الله تعالى، وحتى أشارك الأخت الكريمة لعلاج هذا العائق، آمل منها تأمل الخطوات الآتية:

نحن نعلم جميعاً أن الهداية قسمان؛ هما:

١ ـ هداية إرشاد ودلالة، فهذه كما أنها من الله ﷻ، فهي للمخلوق كذلك، فهو يُرشد ويُذكِّر ويُعَلِّم، كما قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

٢ ـ هداية توفيق، وهذه خاصة بالله ﷻ، لا يجوز

للمخلوق أن ينازع الله ﷻ فيها، ولذلك قال الله ﷻ لنبيه ـ وأمَّتُه تبع له في ذلك ـ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

وبناءً على هذا، فليس على المخلوق هداية الناس، وإنما الذي يجب عليه: إرشاد الناس.

كذلك، يجب أن نتأمل جميعاً الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: قال ﷺ: «عُرضتْ عليّ الأمم، فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العَشْر، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده...» الحديث[1].

لنتأمل: منهم من يأتي وليس معه أحد، وهو نبي مؤيَّد بالوحي، وقد أبرأ ذمته أمام الله ﷻ، ليس بكثرة أتباعه، وإنما بقيامه بدعوته، فعُلم أن براءة ذمة الإنسان تكون بقيامه بهذا الواجب، وليس بكثرة المستجيبين له.

٣ ـ بالنظر إلى الواقع، بحمد الله تعالى، نجد ما يُكذِّب هذه المزاعم، فلا زال في الناس استجابة لداعي الحق، بل هو الأصل في الناس، بل إن الدعاة إلى الله

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

تعالى، من الجنسين، ما زالت مكانتهم في أوساط الناس عالية، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على الخير المؤصل في قلوب الناس، والمعاند شاذٌّ لا حكم له.

الحادي عشر

العجز عن تغطية المنكرات

من خلال الاستبانة، كانت نتائج هذا العائق ما يلي: ٢٩,٥٪ موافقات، و٣٩٪ أحياناً، و٣٦,٤٪ بعدم الموافقة.

فكم من داعية إلى الله سبحانه وتعالى، كانت شعلة في هذا المجال، تُذكّر وتُرشد وتنصح، همّتها للخير عالية، ولكنها في صراع مع نفسها، وهي ترى المنكرات قد انتشرت في المجتمع، خاصة وهي تتأمل بنات جنسها، وما يعشن فيه من تغريب، في هيئتهن وملابسهن، وكأن لسان حالها يقول:

تكاثرت الظِّباءُ على خِراشٍ
فما يدري خِراشٌ ما يصيد

وربما دفعها ذلك إلى ترك مجال الدعوة إلى الله تعالى، وكأن لسان حالها يقول مرة أخرى: ليس بالإمكان أكثر مما كان.

ولعلاج هذا العائق المتهاوي أذكر طريقتين؛ هما:

١ ـ نحن نعلم جميعاً أن الإنسان إنما يُخاطَب بحسب قدرته واستطاعته؛ لقول الله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] فما يخرج عن قدرة الإنسان، لا يؤاخَذ به.

٢ ـ من الممكن لإزالة هذا العائق أن تقوم الداعية إلى الله ﷻ بمحاولة تغطية هذا الجانب من خلال وسائل ميسَّرة ـ بحمد الله تعالى ـ لكل أحد. ولنأخذ على ذلك مثالاً: كم من امرأة تحمل همّ الدعوة إلى الله ﷻ، ولكنها نتيجة لانتشار مظهر من المظاهر السيئة في أوساط النساء؛ كالنقاب الفاتن مثلاً في الأسواق، يصيبها الضعف والفتور عن إنكاره، لأنها تعتقد أن الواجب عليها محادثة كل واحدة من هؤلاء النسوة، مع كثرتهن، أو أنها لا تقوم بالإنكار، ولكن من خلال وسيلة ميسرة، وهي القيام بتوزيع مطوية حول حكم هذه المخالفة وتلك، حينها تشعر بقيامها بواجبها، مع قيام الحصانة بعدم تغلغل هذا العائق في نفسها، والذي قد يُقعدها عن مجال الدعوة إلى الله تعالى، أو على أقل الأحوال يجعلها تستمرئ هذا المنكر وتعتاد عليه، وهكذا الحال مع بقية المنكرات المنتشرة.

الثاني عشر

الفوضوية وانعدام التخطيط

من خلال الاستبانة كانت نتائج هذا العائق ما يلي: ٦٢,٢٪ موافقات، و٣٠,٩٪ أحياناً، و٦,٩٪ بعدم الموافقة.

والملحوظ هنا: ارتفاع نسبة مؤيدات كونه عائقاً من عوائق الدعوة إلى الله ﷻ. وفي اعتقادي أن أثر هذا العائق لا يظهر في كونه عائقاً عن سلوك طريق الدعوة، ولكنه عائق عن ظهور الثمرة المرجوّة من خلال هذا العمل الدعوي، أو ذاك، وحينها يصبح هذا العائق من مثبِّطات الداعية في سيرها في طريق الدعوة إلى الله تعالى، وبالتالي: ربما أدى إلى أن تتجرَّع الصحوة الإسلامية المرّ، وتلقى الويلات، من الفوضوية التي تتخبط بها بعض الداعيات، فكم من الخطط التربوية انهارت نتيجة الفوضوية في تطبيقها، وكم من الأعمال الخيرية التي أخفقت نتيجة لذلك.

إنه مما لا شك فيه أن منطق ارتجال الأعمال

الدعوية بصفة فردية لا يلتقي مع قول الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

ومن مظاهر الفوضوية في حياة بعض الداعيات: التخبط في مجال الدعوة، فنراها يوماً تشارك في هيئة الإغاثة، ثم تنقطع، وتلتفت إلى الدور النسائية لتحفيظ القرآن، ثم تنقطع، وتلتفت إلى مكاتب توعية الجاليات، وهكذا، فهي تفسد مخطط هذه المؤسسة حيث اعتمدوا عليها في خططهم وبرامجهم، وهي من جهة أخرى، لم تقم بأي عمل من هذه الأعمال، حسب ما هو مخطط له، فضلاً عن إبداعها. وسبب هذا ولا شك سرعة تغير القناعات، وعدم بناء الداعية قناعاتها على أصول وثوابت ترتكز إليها، وانعدام الدراسات العلمية الجادَّة التي تنطلق منها، بل هي عواطف غير مؤصَّلة، ومواقف حماسية لا تستند إلى برهان، فتتقاذفها يَمنة ويَسرة، فهي كما قال الأول:

يمانيّاً إذا لَقِيتُ ذا يمنٍ
وإن لاقيتُ مَعَدِّيَّاً فعَدْنان

إن الفوضوية هي طريق للقضاء على الداعية، حتى وإن كان ذلك بصورة بطيئة، قد لا تحس بها الداعية، ولكن الصورة ستتضح لها مع مرور الأيام، حينما ترى

ثمرة جهد من كان التخطيط حليفهن من أخواتها الداعيات، وربما كنّ أقلّ منها تفرغاً لأمور الدعوة، ولكنه التخطيط السليم هو الذي أوصلهن إلى هذه الثمرة.

إنه مما يجب أن يُعلم: أن الدعوة إلى الله كالشجرة الباسقة، لا يمكن أن تثمر أبداً إذا انقطعت عنها السقاية، ولم تجد من يرعاها، والفوضوية نراها بصورة مكبّرة في حياتنا، ولها مظاهر من أبرزها:

١ ـ عدم اختيار الداعية المناسبة في المكان المناسب، من قِبل القائمات على أمور الدعوة، فتتصدر للمحاضرة من لا تحسن ذلك، وتقوم على الإشراف على دار نسائية من دون أن تملك أدنى مقومات الإدارة، فإذا وجدت نفسها فجأة في ذلك المكان، وربما سَبَحَتْ ضد التيار، وإذا كنَّا لا يمكن أن نتصور وجود طبيب من دون شهادات طبية مثلاً، فكيف جاز لنا ذلك في أمور الدعوة، والتي يجب أن تقوم على أسس راسخة، حتى تؤتي ثمارها.

٢ ـ الفوضوية في إهمال الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها ذلك المرفق الدعوي المهم.

٣ ـ الفوضوية في الجمع بين مجال الدعوة، وبين مجال

التعبد لله ﷻ؛ إذ إن زاد الداعية إلى الله تعالى في دعوتها: كثرة التعبد لله تعالى.

٤ ـ الفوضوية في الجمع بين الزيارات والرحلات، وبين مجال الدعوة إلى الله تعالى هي مظاهر كثيرة ليس هذا مجال حصرها.

هذه المظاهر وغيرها لا تؤدي إلى ظهور ثمرة هذه المناشط الدعوية فحسب، بل تؤدي إلى نحرها من الوريد إلى الوريد، ومن ثم موتها، والخسارة المترتبة على هذا، ليست هي خسارة مشروع دعوي فحسب، بل مع ذلك: هي خسارة أوقات وأموال وطاقات بُذلت في هذا المشروع، لم تتم الاستفادة منها على الوجه المطلوب.

أما علاج هذا العائق؛ فيكون بأمور؛ منها:

١ ـ **أن تتقي الله الداعية حيثما كانت**: لأن مَنْ تلمّس تقوى الله في أقواله وأفعاله، رزقه الله البركة، وسدَّد له خطاه، وكانت له الهداية في أموره، نعمة من الله وفضلاً، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢].

٢ ـ **دعاء الله، والاستعانة به، على التوفيق والسداد**: فالله تعالى أمر بالدعاء، ووعد بالإجابة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

٣ ـ **الاستشارة**: فالإنسان مهما رُزِق من عقل ذكي، أو رأي زكي، فهو بحاجة إلى مشاورة غيره من أهل الرأي السديد، وقد كان من أمر الله لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقد كان النبي ﷺ كثيراً ما يستشير أصحابه، كما استشار أم سلمة في صلح الحديبية(١)، بل كان كثيراً ما يقول عليه الصلاة والسلام: (أشيروا أيها الناس عَلَيّ)(٢)، فإذا كان النبي ﷺ يؤمر بهذا الفعل ويفعل، وهو المؤيَّد بالوحي من عند الله، فغيره من باب أولى.

٤ ـ **إدراك العواقب المترتبة على الفوضى**: يكفي أن تتصور الداعية تلك الجهود المبعثرة، والأوقات الضائعة، حينها ستسعى ـ بلا شك ـ إلى معالجة هذه الظاهرة السلبية.

٥ ـ **صحبة من تحسن تنظيم شؤونها**: فحينما تحرص الداعية على مصاحبة من قامت على تنظيم شؤونها،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١ و٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٧٨ و٤١٧٩) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

ستجد من نفسها أنها لا تطيق الفوضوية، وهذا انعكاس لتأثرها بمصاحبة هؤلاء، والاقتداء بهن.

٦ ـ **التأني وعدم الاستعجال**: لأن الداعية إذا حاولت تغيير الواقع، الذي تعيشه في محيط أسرتها ومجتمعها، دون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع، ودون إعداد جيد للمقدمات والأساليب، فإن من الطبيعي أن تخرج النتائج فوضوية، لا تنضبط بضابط.

٧ ـ **النظر في عظمة هذه الشريعة**: وكيف أنها بتشريعاتها تدعو إلى النظام، وتذم الفوضى، نجد أن الله تعالى ذم الفوضى والعبث، ووبخ أهل النار على سيرهم العابث، فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

والصلاة مثلاً تؤدى بنظام تام في أوقاتها، وفي حركاتها، وفي أقوالها، سواء أُدّيت بصفة فردية أو جماعية، والحج يؤدى بنظام تام، والزكاة تؤدى بنظام لا مجال فيه للفوضى(١).

---

(١) العلاج من كتاب: «الفوضوية في حياتنا»، لعادل العبد العالي بتصرف. ومن أرادت الاستزادة، فلتراجع الكتاب المذكور.

الثالث عشر

الفتور

من خلال الاستبانة، بلغت المؤيدات لكون هذا العائق سبباً مؤثراً على حياة الداعية ٥٠٪، و٣٥,٩٪ أحياناً، و١٨,٨٪ بعدم الموافقة.

وفي هذا الموضوع روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إن لكل شيء شرّة، ولكل شرة فَتْرَة، فإن صاحبُها سدّد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدُّوه)[(١)].

ولقد استعاذ النبي ﷺ من الفتور في عدة أحاديث، ورد فيها استعاذته من العجز والكسل؛ كما في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يتعوّذ، ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم»[(٢)].

والحديث عن الفتور من الأهمية بمكان بالنسبة

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٣) وقال: «حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٤/٢٠٧٨ رقم ٥٨٩).

إلى الداعية إلى الله تعالى، لظهور هذا الأمر وشيوعه في أوساط الداعيات إلى الله تعالى.

من جهة أخرى، تظهر أهمية الحديث عن هذا العائق من خلال ما يلي:

١ ـ إن الله تعالى ذم المنافقين لتثاقلهم عن الصلاة، وكسلهم فيها، ولا يُخرِجون الزكاة إلا وهم كارهون، وهذا هو أسوء أنواع الفتور وأقسامه، قال ﷻ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

٢ ـ إن الله تعالى دعا إلى نبذ الفتور والكسل، وذلك بالمسارعة إلى الخيرات والمسابقة إليها، وأثنى على المؤمنين الذين يسارعون في الخيرات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

٣ ـ استعاذة النبي ﷺ من الفتور، ومن ذلك: ما تقدم في حديث عائشة رضي الله عنها.

٤ ـ خطورة الفتور، حيث يؤدي بكثير من الناس إلى الانحراف، وهذا مشاهد؛ فإن بعض الداعيات إذا حصل

لها فتور في مجال الدعوة، نجد أن ذلك يسري عليها في سائر أمرها، حتى تكون في عداد اللاهيات العابثات، ومن هنا كان النبي ﷺ يكثر الاستعاذة منه كما تقدم.

٥ ـ إن الكسل والفتور لا يختص بطائفة معينة من الناس، بل إنه يسري في الناس على مختلف طبقاتهم وأعمارهم وأحوالهم، لا يكاد ينجو منه أحد، إلا من رحم الله، فهو يصيب العلماء والعُبّاد، والجهال والشيوخ والشباب والرجال والنساء... إلخ[١].

ولست هنا بصدد الحديث عن مظاهر الفتور وأسبابه، ونحو ذلك، فهذا مكانه في الكتب التي أُلّفت في ذلك[٢]، ولكنني بصدد التحذير من هذا العائق، الذي قضى على كثير من الطاقات في مجال الدعوة إلى الله. فكم لهذا العائق من صرعى على الطريق، وفي اعتقادي أن عدم وضوح الهدف للداعية إلى الله تعالى هو من أبرز أسباب الفتور، وهذا مبني على الفوضوية التي تحدثنا عنها في النقطة التي قبل هذه. لذا نحن بحاجة إلى إبراز أهداف دعوية تتحقق ثمارها على

---

(١) من كتاب: «الفتور»، للشيخ ناصر العمر (ص١٥ ـ ١٧) بتصرف.

(٢) ومن أبرزها كتاب «الفتور» السابق.

المدى البعيد، نرعاها وليدة، ثم شابَّة، لا تشيخ بإذن الله. وهذا العمل من شأنه أن يبقي الداعية إلى الله تحت دائرة الضوء، تُبدِع وتُجَدِّد فيه، ولعل هذا من أبرز العوامل التي تبعد عن الداعية عائق الفتور، فالفتور ـ في ظني قرين ـ للأعمال الارتجالية.

إن مكمن الخطر في الفتور، والذي هو من أشد الأمراض المعنوية، حينما لا يحسُّ به الإنسان، فيقضي عليه، كما تقضي بعض الأمراض على أصحابها حينما لا يدركون خطورتها، فيتساهلون في علاجها أول الأمر، فيصعب بعد ذلك تلافيها والقضاء عليها، من هنا كان لزاماً أن أذكر بعض الوسائل التي تعين على علاج هذا العائق، والذي ترصّد لكثير من الداعيات إلى الله تعالى، فألقاهن صرعى على طريق الكسل والخمول والفتور، وهذه الوسائل كثيرة؛ منها:

١ ـ تعاهد تجديد الإيمان: روى الحاكم[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الإيمان ليَخْلَق في جوف أحدكم، كما يَخْلَق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم».

---

(١) في «المستدرك» (١/ ٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٥٨٥).

ومما يزيد في الإيمان: العبادات على اختلاف تنوعها، سواء ما كان منها واجباً أو مسنوناً.

٢ ـ مراقبة الله، والإكثار من ذكره: وحقيقة المراقبة: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»(١).

ولذا ليس بخليق بالمسلمة ـ وبالذات الداعية إلى الله تعالى ـ أن تغفل عن مثل هذا الأمر. وإننا نجد مع الأسف من لا تُتمّ أذكار ما بعد الصلوات أو أوراد الصباح والمساء بحجة الانشغال بالدعوة إلى الله تعالى. ولتنظر الأخت في حالها، حال الترتيب لعمل دعوي، كالأطباق الخيرية ونحوها كيف حالها مع الذِّكْر.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «إن الذِّكْر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذِّكْر ما لم يطق فعله بدونه».

٣ ـ الإخلاص والتقوى: فكما أن ضعف الإخلاص سبب من أسباب الفتور، فإن الإخلاص وتعاهده ومجاهدة النفس عليه، من أعظم أسباب الوقاية

---

(١) جزء من حديث جبريل، رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) في «الوابل الصيب» (ص١٠٦).

من الفتور؛ إذ إن الداعية إلى حظِّ نفسها لا بد أن يعتريها الفتور، ومن ثم الابتعاد عن مجالات الخير، ومنها مجال الدعوة إلى الله تعالى.

أيتها الأخت الداعية: إن المزالق في طريق الداعية كثيرة جداً كالشهوة الخفية والعجب، والتعلق بالدنيا، وهناك مهلكات، علاجها: الإخلاص والتقوى قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٤ ـ **تصفية القلوب**: ولقد امتنَّ الله تعالى على نبيه ﷺ بأن شرح له صدره، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح: ١].

فتصفية القلوب من الأحقاد والحسد وسوء الظن من أعظم أسباب شرح الصدر، حينها تكون الداعية إلى الله تعالى متجددةً في دعوتها، وتزداد نشاطاً وإشراقاً، فيؤدي ذلك إلى إقبالها على الدعوة إلى الله تعالى، والاستمرار على ذلك، وهكذا كان أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤].

وهناك عوامل تساهم في تصفية القلوب، وتعين على تنقيتها من الضغائن، منها:

أ ـ استمرار الصلة بين العاملات في حقل الدعوة

إلى الله تعالى، وفتح باب المناقشة، وتقريب وجهات النظر؛ لأن البعد جفاء والخلاف شر.

ب ـ التماس الأعذار لأخواتك، وحملهن على أحسن المحامل ودفع السيئة بالحسنة.

جـ ـ المصارحة بينك وبين أخواتك السائرات في طريق الدعوة إلى الله تعالى، وعدم الاستماع إلى الأقاويل والوشايات، والمبادرة إلى إزالة ما يقع من شحناء، والتحقق مما تستمعين، لأن التأخر والتسويف في علاج مثل هذه الوشايات يزيد الأمر سوءاً وفتوراً.

٥ ـ طلب العلم والمواظبة على الدروس وحِلَق الذِّكر والمحاضرات: فإن العلم نور يرفع صاحبه إلى الدرجات العلا؛ قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

إن المواظبة على الدروس والمحاضرات تزيد العلم وتنمِّيه، وتدفعك إلى الأمام. وحِلَق الذِّكْر تجلو ما يلحق المؤمن من صدأ وضعف وفتور، وتبث فيه نشاطاً وحيوية وحماساً.

٦ ـ فقه الواقع: وهو من فروع العلم، ذلك أن إدراك المسلمة لواقعها وما يجري فيه، وفقهها لهذا

الواقع بما فيه من مآسٍ وما يتطلبه من مجهود وعمل متواصل، يبعد عنها أي فتور أو تراخٍ، إن كان في قلبها إسلام وإيمان؛ فكيف تركن المسلمة للدَّعة وهي ترى أمتها يحيط بها الأعداء، ويتنادون من كل حَدَبٍ وصوب للإجهاز عليها والعبث في أرضها وخيراتها؟ وكيف يمكن للداعية إلى الله تعالى أن يغمض لها جفن، ويهنأ لها بال، وهي ترى أخواتٍ لها يتخبَّطن في التيه والضلال، ثم لا تقوم بأدنى جهد لإصلاح الخلل؟.

إنني أقول للأخت الداعية: هل يمكن لطبيب يحترم مهنته أن ينام ملء جفونه، وهو يرى رجلاً مضرجاً بدمائه، يحتاج إلى نجدة وإسعاف؟ كل ذلك يجب أن لا يكون، فكذلك من تفقه واقع أمتها وحالها، كيف يجد الفتور إلى قلبها طريقاً، وإلى عملها سبيلاً؟ هذا بعيد، كبعد عاد وثمود، إلا من عاشت الهوان، ورضعت الذل والعبودية، وفقدت الإحساس: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

٧ ـ سلامة المنهج وتأصيل المنطلقات، والعناية بمنهج التّلقي: ولذا وجب على الداعية إلى الله تعالى أن تعتني بذلك؛ ذلك أننا في زمن كثُرت فيه المدارس الدعوية، والمناهج العلمية، واختلط الحابل فيها

بالنابل، وكلٌّ يدعي وصلاً بليلى. إن سلامة المنهج يقي الداعية من التذبذب، والحيرة والاضطراب، ويعطيها الطمأنينة والثقة والثبات، إن السعي في مناهج غير سليمة وغير مؤصّلة يورث حسرة وألماً على ما مضى من زمن، وما بذلت من جهود، حينها تصاب الداعية إلى الله بنوع من الإحباط واليأس. ثم إن سلامة المنهج له أثره الفعَّال في تحقيق الأهداف، وجني الثمار، وهذا الأمر دافع لمزيد من العطاء والتفاؤل اللذين يُسهمان في الثبات والبقاء، ومن ثم السلامة من الفتور ذلك الداء العضال.

أختي الداعية: كثيرة هي وسائل علاج الفتور، أكتفي فيها بما تقدم، مع ذكر البقية على سبيل الإجمال؛ ومنها:

٨ ـ الوسطية.

٩ ـ تنظيم الوقت ومحاسبة النفس.

١٠ ـ لزوم الجماعة.

١١ ـ تعاهد الفاترات من قِبل الأخوات الجادات.

١٢ ـ التربية الشاملة المتكاملة.

١٣ ـ تنويع العبادة والعمل.

١٤ ـ القدوة الصالحة.

١٥ ـ علو الهمة ونبل المقصد والأخذ بالعزيمة.

١٦ ـ الإكثار من ذكر الموت والخوف من سوء الخاتمة.

١٧ ـ الصبر والمصابرة.

١٨ ـ الدعاء والاستعانة بالله[1].

(١) العلاج من كتاب: «الفتور»، للدكتور ناصر العمر (ص٨٨ ـ ١١٣) بتصرف. ومن أرادت الاستزادة، فلتراجع الكتاب المذكور، فهو جيد في بابه.

الرابع عشر

افتقار الداعية للأسلوب المناسب في دعوتها

وقد بلغت نسبة المؤيدات أن هذا العائق يؤثر في عمل الداعيات ٥٠٪، و٣٨٪ رأين أنه يؤثر أحياناً، و١١٪ قلن بعدم الموافقة.

وفي اعتقادي أن نشوء هذا العائق له أسباب؛ منها:

١ ـ فهم الدعوة وحصرها في جانب معين، كالمحاضرة، أو تأليف الكتيبات والرسائل، ونحو ذلك، فترى الداعية أنها إن لم تحسن ذلك، فسبيلها هو القعود عن مجال الدعوة إلى الله، ولكنها تنسى أو تتناسى أن هناك وسائل كثيرة في مجال الدعوة، وهي فعالة، لا تحتاج إلى أساليب.

٢ ـ قلة الدورات المقامة في هذا الجانب، أعني بها دورات إعداد الداعيات؛ ومن أهمها: تثقيفها في الجانب الشرعي، وعلى أقل الأحوال، تعلُّم ما يجب عليها تعلُّمه من أحكام العبادات، لترفع الجهل عن نفسها، وعن بنات جنسها.

٣ ـ عدم إدراك كثير من الداعيات أن الدعوة إلى الله فن له أساليب وطرق وقواعد، ينبغي على الداعية إلى الله تعالى الإلمام بها وإدراكها.

٤ ـ توجيه سهام الإخفاق إلى أسلوب الداعية، دون البحث عن مرتكزات الدعوة الأخرى.

ومع حاجة الوسط النسائي إلى داعيات، وقلة المؤهَّلات، مع وجود المعوقات الأخرى، ينتج من جرَّاء ذلك أمر خطير، لا بد من تداركه، ألا وهو أنه تصدّرت للدعوة من لا تحسن ذلك. ولا يعني كلامي هذا أن تقعد الأخت الداعية عن مجال الدعوة، تبعاً لهذا العائق، وإنما هي إشارة إلى وضع الداعية في مكانها الملائم لقدراتها ومواهبها.

أما علاج هذا العائق: فيمكن من خلال علاج الأسباب التي أدت إلى بروزه وظهوره، وسأحاول علاج هذا من خلال الأسباب التي ذكرتها آنفاً.

أما علاج السبب الأول: فلا بد أن تفهم الأخت الداعية أن حصر مجال الدعوة من خلال محور أو محورين فيه ظلم لشمولية هذه الشريعة المباركة وسَعتها، ولن تعدم الأخت المباركة وسيلة تقوم من خلالها للدعوة إلى الله تعالى، مهما افتقرت الأخت لأبسط

أساليب الدعوة، قال عليه الصلاة والسلام: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة»(١)، وقد سبق معنا بعض الوسائل المُيسّرة، من خلالها تستطيع الأخت أن تكون داعية إلى الله تعالى(٢).

أما علاج السبب الثاني: فيقع على عاتق المؤسسات الخيرية على مختلف أنواعها، وعلى أقل الأحوال: إقامة الدورات التدريبية لها من خلال عملها الذي تقوم به في تلك المؤسسة، التي تعمل بها، حتى يكون إنتاجها مؤثراً وفاعلاً وشاملاً.

أما علاج السبب الثالث: فهو مبنيّ على علاج السبب الثاني، فيوم أن يتسنَّى للداعية إقامة مثل هذه الدورات، ستدرك أن للدعوة قواعد وأصولاً، ينبغي عليها أن تدركها، وأن تُلِمّ بها.

أما علاج السبب الرابع: فهو أنه لا بد للأخت الداعية إلى الله تعالى أن تدرك أن الدعوة إلى الله تعالى تقوم على ثلاث مرتكزات؛ هي: داعية، ومدعو، ومنهج دعوي.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٥٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٢) يراجع ذلك عند العائق الثالث (ص٢٤).

فعدم نجاح أية داعية لا يعني ذلك بالضرورة أنها لا تملك الأسلوب المناسب للدعوة، فقد يكون لديها ذلك، ولكنها لم تحسن طريقة عرض ما عندها، فعليها أن تراجع نفسها في ذلك، وقد يكون الخلل في المدعو؛ أي إنه غير صالح للدعوة. ولنتأمل في قصة موسى مع قومه، فهو نبي، والمنهج رباني، ومع ذلك قال له قومه: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] فلا بد أن تتأمل الأخت الداعية أين يكمن الخلل.

الخامس عشر

العجز عن الحوار وتلقِّي المداخلات

وقد بلغت نسبة المؤيدات لكون هذا السبب عائقاً ٣٨,٤٪، و٣٦٪ أحياناً، وقالت: ٢٥,٢٪ بعدم الموافقة.

ولذا نجد أن كثيراً من الأخوات قد تجنح عن الدعوة إلى الله تعالى نتيجة لخوفها من الحوار وتلقي المداخلات نتيجة لعلمها المسبق بعدم المقدرة على ذلك، خصوصاً إذا ابتليت الداعية إلى الله بمعانِدة، وتتضخم المشكلة، حينما تكون هذه المعاندة ممن تحضر معها اجتماعات العائلة بصورة مستمرة، حيث إنها تترصَّد لها في كل برنامج دعوي، وذلك من خلال إثارة الشبه حول الموضوعات التي تعرضها هذه الداعية، حينها تتخوف بعض الداعيات من أسلوب المواجهة مع هذه، فيؤدي ذلك إلى إحجامهن عن دعوتها، وخاصة في أوساط اجتماعات الأقارب.

والعلاج لهذا العائق يكون في عدة أمور؛ منها:

١ ـ تسلّح الداعية بالعلم، وعلى أقل الأحوال: في المسألة التي تريد عرضها، ومناقشتها في ذلك الاجتماع.

٢ ـ عدم الخوض في مسائل لا تحسنها الداعية إلى الله تعالى، حتى لا يكون ذلك مدخلاً عليها من خلاله يُنتقص من قدرها.

٣ ـ حبذا اصطحاب فتوى لأحد المشايخ المعتبرين إذا أرادت الكلام عن حكم شرعي، حتى يكون مستنداً لقولها، وحتى يُقطع الطريق على تلك المعانِدة.

٤ ـ في حالة وجود استدراك على دليل أوردته الداعية، أو حكم شرعي، من قبل إحدى الحاضرات، فليس عيباً من الداعية أن تطلب مهلة من أجل مراجعة المسألة، فهذا خير من أن تجادل الداعية فيما لا تحسن.

٥ ـ يجب على الداعية إلى الله تعالى أن تكون هادئة، حسنةَ السمت بشوشة، وهي تتلقّى الاستدراكات، فما علمته قدَّمته بأسلوب حسن، مع ابتسامة صادقة، وما لم تحسنه فإنها تَعِدُ بالرجوع إليه، والحذرَ الحذرَ من اللّجاج، والمخاصمة التي تورث الشحناء والبغضاء، وتوغر الصدور، وتؤدي إلى تباعد القلوب، ومن ثم تباعد الأبدان.

ولتعلم أنه ما من أحد إلا رادّ ومردود عليه، إلا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

السادس عشر

جهل الداعية بأوَّليات الدعوة

من خلال الاستبانة بلغت المؤيدات لكون هذا السبب عائقاً في حياة الداعية ٥٤٪، و٣٣٪ أحياناً، و١٢٪ لا يرينه عائقاً.

والجهل بأوليات الدعوة من العوائق التي وقفت سداً منيعاً أمام كثير من الداعيات؛ إما عن الابتداء في الدعوة، أو عن الاستمرار فيها بعد دخول مجالها، أو عن حصول الثمرة المرجوة من دعوتها. ولا شك أن العلم بأوليات الدعوة يخضع للفئة المدعوة، فليس من المناسب أبداً أن تبدأ الداعية إلى الله تعالى بالدعوة مع مجموعة فرّطت في الصلاة، لتتحدث حينها عن الحجاب ومخالفاته، وهو موضوع مهم بلا شك، فقد مكث النبي ﷺ يدعو إلى التوحيد ثلاثة عشر عاماً، مع وجود بعض الأخطاء والمخالفات في مجتمعه، والتي تحتاج إلى تقويم، كما راعى ﷺ هذه المسألة في وصيته لمعاذ رضي الله عنه حينما قال له لمَّا بعثه إلى اليمن: «اعلم أنك

تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أجابوك...» الحديث[١].

فمما يلحظ هنا أن النبي ﷺ أوصاه بأمرهم بالتوحيد في أول الأمر قبل أمرهم بالصلاة، مع مكانتها وأهميتها، بل إن علاج بعض الأخطاء إنما يكمن في علاج الأخطاء التي هي أكبر منها، فكيف تقوم الداعية إلى الله بإصلاح امرأة متهتكة في حجابها وهي ـ أي هذه المرأة ـ قد ضيعت وفرّطت في صلاتها؟.

إن علاج ذلك: إنما يكون عن طريق فهم فقه الأوليات، ويمكن أن يكون ذلك من خلال الوسائل التالية:

١ ـ الإنكار على الشيء بحسب أهميته من خلال حكمه الشرعي، لا من خلال عادة الناس في تضخيمه، ولو أن الداعية إلى الله تعالى رتّبت أوّلياتها في الدعوة بحسب حكم الشرع في هذه المسألة أو تلك، لما وجدنا من الداعيات من تتحمس في علاج منكر قد

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

يكون من المكروهات، وتترك علاج مشكلات أخرى قد تكون من الموبقات.

٢ ـ تحتاج الداعية إلى الله ﷿ إلى العلم الشرعي لمعرفة فقه الأوليات.

٣ ـ استشارة من سبقتها في هذا المجال من الداعيات، حتى تختصر لها الطريق. وممَّا يجب أن يُعلم أن إدراك فقه الأوليات يختلف ما بين مدعوةٍ وأخرى، وما بين مجموعةٍ وأخرى، وما بين بلدٍ وآخر.

السابع عشر

عدم التجانس بين الموهبة والعمل الدعوي

من خلال الاستبانة بلغت المؤيدات لكون هذا السبب يقف عائقاً أمام الداعية ٢٦,٤٪، و٣٩٪ أحياناً، وقالت ٣٤,٦٪ بعدم الموافقة.

والسبب في وجود هذا العائق إنما يرجع إلى القائمات على أمور التربية والدعوة من الأخوات الداعيات، وذلك من ناحية عدم وضع الفتاة في موضعها المناسب، فتوضع في مجال المحاضرات من لا تحسن إلا مجال الكتابة، أو العكس، وهكذا.

وعلاج ذلك يحتاج إلى عين بصيرة حكيمة، تضع الأمور في نصابها ومواضعها، ولهذا راعى النبي ﷺ هذه القضية المهمة، حتى أصبح الصحابة منظومةً متكاملة، قاموا بحمل أعباء الدعوة خير قيام، ونشروها في أصقاع المعمورة، فلقد كان للنبي ﷺ شاعر يذب عن الإسلام بشعره، ومؤذن يصدح بأذانه، وعالم

بالفرائض يقسم القسمة الشرعية، ونابغة في حفظ الحديث، يذب عن مقام السنة النبوية، ومجاهدون ينشرون الإسلام بالسيف والسنان، وهكذا.

إن من أهم علاج هذا العائق: توزيع الطاقات بشكل تظهر فيه الأخت الداعية بثوب مناسب موافق للمصلحة الشرعية. ألا وإن من أخطر القضايا: المحاباة في هذا الجانب، ومن أبرز ما لحظته في هذا الجانب: تنصيب بعض الأخوات في إدارة الأقسام النسائية في الجمعيات الخيرية أو الدور النسائية، لما يترتب على ذلك من إيجاد فرصة وظيفة لهذه الأخت، حتى وإن كانت غيرَ مؤهَّلة، وفي أحيان كثيرة تتدخل التحزّبات والتعصّبات تحت أي وجه، لتنصيب هذه أو تلك، على رأس الهرم الدعوي، حتى وإن كان ذلك على حساب الدعوة، وهذا ـ بلا شك ـ مزلق خطير، يجب علينا جميعاً أن نحاربه.

ثم إنني أخاطب الفتاة الداعية، وأطلب منها ألا تنساق وراء دعوتها إلى مجال لا تحسنه، فيكون المتضرر الأول والأخير من هذا هو مجال الدعوة، ألا وإن من أعظم الأمور التي تغبن الداعية عن التخلي عن مجال لا تحسنه، هو الإخلاص لله ﷻ، وعدم انجرافها

وراء مناصب برّاقة، أو دعاوى مزخرفة، أو تنافُس مذموم بينها وبين قريناتها.

إن الأخذ بالحسبان لهذه القضية الحساسة، أعني بها: التجانس بين الموهبة والعمل الدعوي، يؤدي إلى عدم استغراق كثير من الأعمال الدعوية وقتاً أكثر من المخطَّط لها، وأيضاً يؤدي إلى ظهور الثمرة المرجوّة؛ لأن القائمة على المشروع الدعوي تحسن إدارته، وهذا يحل معوّق: ازدحام الوقت بالأعمال الفرعية، وعدم مراعاة هذا الجانب يؤدي إلى نتيجة عكسية، وذلك من ناحية استغراق وقت أطول لهذا العمل الدعوي، مع أن هذ العمل لا يتطلب كل هذا الوقت. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يؤدي هذا العمل الدعوي ذلك الأثر المنشود، لعدم إحسان القائمة عليه، وتجانسها مع هذا العمل، إن التفريط في هذا الأمر سيؤدي إلى نتائج عكسية تماماً.

الثامن عشر

افتقار الداعية للتواصل مع العلماء والدعاة

من خلال الاستبانة أيدت كون هذا العائق سبباً يؤثر في حياة الداعية ما نسبته ٥٢٪، و٢٨٪ أحياناً، و١٩٪ بعدم الموافقة.

وكون هذا عائقاً من عوائق الدعوة، عائد إلى حاجة بعض الداعيات إلى الله تعالى لمن يقوم بتعليمهن العلم الشرعي، وليكنَّ داعيات إلى الله على بصيرة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: فلحاجة بعض الداعيات إلى الله تعالى للاستشارة في مشروع دعوي، تفكر بالقيام به، أو لعلاج مشكلة تربوية، وهي التي قد تصدّت لذلك في محيط دعوتها، فهي تحتاج إلى من تستشيره في كيفية علاج المشكلات التي تعرض لها في مسيرتها الدعوية.

والحقّ أن هذا من العوائق، نظراً إلى قلة المتفرغين من الدعاة، ومن تفرغ منهم، فجدوله في الغالب مزدحم بالأعمال الدعوية اليومية، مع ما يصاحب ذلك من قلة المتخصصين في مجال المرأة

بالذات، ومع هذا فإننا لا نُجَوِّز للداعية أن تقف مكتوفة الأيدي أمام هذه العقبة، بل لا بد لها من البحث عن حلول لهذا العائق.

وأعرض هنا بعض الحلول لهذا العائق الذي يعترض مسيرة الداعية إلى الله تعالى؛ فمن ذلك:

١ ـ على الداعية أن تُدَوّن في دفتر خاص المواقف والأسئلة، والإشكالات التربوية التي تريد حلاً لها، ومن ثم تقوم بعرضها دفعة واحدة، حال تحصيلها لبعض الدعاة من خلال الهاتف، حتى لا تضطر إلى تكرار الاتصال الذي قد يتعذر معه الحصول على أحد الدعاة، ليقوم بحلّ مشكلاتها، أو الإجابة عن سؤالها.

٢ ـ استعيني ـ بعد استعانتك بالله ـ، بأحد محارمك: والدك أو أخيك أو زوجك... للتواصل مع العلماء والدعاة إلى الله تعالى، بإيصال ما تريدينه إليهم عن طريقه؛ لأن فرصته قد تكون أكبر من ناحية الذهاب إليه، ومقابلته شخصياً.

٣ ـ التواصل معهم من خلال مواقع الإنترنت الخاصة بهم، أو من خلال الفاكس، وغير ذلك من الوسائل. أقول ذلك مع أنه يوجد ـ بحمد الله ـ عدد من العلماء والدعاة، ممن نذروا أنفسهم لقضاء حاجات

الناس، والتصدي لمشكلاتهم، ولكن قد تضيق أوقاتهم أحياناً، فيجب على الداعية التماس العذر لهم.

أيتها الأخت الداعية: مما يجب التنبيه عليه: آفة في ظل هذا الوضع، وهذه الآفة هي أن بعض الأخوات ربما عرضت مشروعها الدعوي على الداعية الفلاني المشهور، ممن قد لا يحسن هذا المجال، أو كان غيره أولى منه، سواء أكان ذلك في أمر الفتيا، أم الاستشارة ونحو ذلك. إن شهرة الداعية إلى الله ﷻ ليست مسوِّغاً للأخت الداعية أن تطلب الاستشارة من غير مظانها، بل يجب عليها أن تتريّث، حتى ولو أدى ذلك إلى تأخير برنامجها، ولكن المهم: أن يخرج بالشكل المطلوب الذي يرضيها ويرضي غيرها[١].

(١) يجب التنبه هنا في مجال التواصل مع العلماء على أمر مهم وهو ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾.

التاسع عشر

الإعاقة الجسدية

من خلال الاستبانة أيدت ما نسبته ١٦٪ كون هذا السبب عائقاً، و٣٠٪ أحياناً، و٥٣٪ بعدم الموافقة.

وكونه عائقاً إما أن يكون بسبب عدم قدرتها لهذا العمل الدعوي بسبب الإعاقة، وإما أن يكون بسبب الحياء من ظهور المرأة داعية أمام بنات جنسها بإعاقتها.

أما إن كان السبب عدم قدرتها على هذا العمل الدعوي بسبب الإعاقة، فعلاج ذلك في نظري: أن تُكلّف من العمل ما تستطيعه، وما يناسب قدراتها. وإنما أقول ذلك ليس انتقاصاً من قدرة الأخوات المعاقات. ولنتأمل كلاماً جميلاً لأحد السلف وهو يقول: «إن قوة المؤمن في قلبه»، ثم قال مدللاً على ذلك: «ألا ترى إلى الشيخ الكبير يصلّي الساعات الطوال، والشاب لا يكاد يصلي الفريضة».

ولذا، كم من فتاة معاقة في جسدها، ولكن همتها للخير عالية، وكم من فتاة سليمة الجسد، لم تنكفئ على

نفسها فحسب، ولكن همتها للشر عالية، عياذاً بالله تعالى، فالعبرة ليست بسلامة الحواس والجوارح للقيام بواجب الدعوة، ولكن العبرة بسلامة القلب وصحته لبعث ما تبقّى من الجوارح للقيام بواجب الدعوة.

وإنني من خلال الحديث عن هذا العائق يحسن أن أُذكِر الأخوات بقصة علّها تكون دافعة لهن، للقيام بواجب الدعوة إلى الله، وتخطّي هذه العقبة، وهي قصة رجل رأيته بنفسي، أصمّ أبكم أعمى، وهو مع ذلك داعية إلى الله تعالى، أما كيف ذلك؟ فلقد رأيته واعظاً، قام وألقى كلمة في محفل كبير، وكان معه مترجم، يتفاهم معه عن طريق اللمس باليد، بحيث يأمره بابتداء الكلام، ثم يبدأ هذا الرجل المبارك ـ أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً ـ بالموعظة، من خلال الحركات، وهذا الشاب الذي معه، يقوم بالترجمة له، وهو على هذه الحال، يتنقل مع مترجمه للدعوة إلى الله في المحافل والمساجد، ويستثمر ظروفه لإقامة الحجة على الأصحّاء لتخليهم عن القيام بهذا الواجب.

أما إن كان السبب هو الحياء من ظهور الأخت الداعية أمام بنات جنسها بسبب إعاقتها، فإنني أقول لها: يجب أن تعلم الأخت الداعية أن هذا ليس من

الحياء في شيء، وقد سبق الحديث عن القعود عن الدعوة إلى الله بحجة الحياء، فلتراجعه الأخت، عند العائق التاسع، وهو عائق الحياء والخجل[١].

(١) ينظر في ذلك (ص٥٢).

العشرون

الحالة المادية

نظراً إلى حاجة الأعمال الدعوية لعصب الحياة، وهو المال، خاصة مع تنوع وسائل العرض، في المشاريع الدعوية، وقيام بعض المؤسسات الخيرية بجهود جبارة في سبيل الارتقاء بالعمل الدعوي من ناحية إخراجه وتكاليفه؛ لذا أصبحت بعض الأخوات الداعيات في حرج من ذلك؛ لأنها ترى أن أدواتها بسيطة لجذب المدعوّات، مما يجعلها تترك كثيراً من الأعمال الدعوية، التي تنوي القيام بها، بسبب حاجتها للمال، مع عدم توفره في يدها.

ومن خلال الاستبانة، أيدت ما مجموعه ١٥٪ كونه عائقاً، و٤٠٪ أحياناً، و٤٣٪ أبدين عدم الموافقة.

وعلى كل حال، على كون المال عائقاً أمام الدعوة فإن تكن المادة مانعاً من القيام بالعمل الدعوي، فلا أقلَّ من أن تكون مانعاً في ظهوره بالصورة المطلوبة.

ولعلاج هذا العائق أقول:

١ ـ ينبغي أن تعلم الداعية إلى الله ﷻ أن الإخلاص له أثر كبير في نجاح العمل الدعوي، فليست العبرة بكثرة النفقة، وإن كان هذا مطلباً، ولكن مع ذلك، قد يسد جانب الإخلاص كثيراً من جوانب النقص لدى الداعية، ومن ذلك: النقص في النفقات، ولذا فكم من عمل يسير تحقق فيه النفع والبركة، ومرّد ذلك إلى الإخلاص، وكم من عمل كبير، قَلّت بركته بسبب فقد الإخلاص أو ربما تلاشت.

٢ ـ على المرأة الداعية أن تستشعر أنها مأمورة بالدعوة إلى الله تعالى، بحسب قدرتها واستطاعتها، فليست هي مطالبة بأن تقوم بما يفوق قدرتها واستطاعتها. وإنني أحذر بهذه المناسبة من أن تعمد المرأة الداعية إلى الاستدانة من التسجيلات، أو المكتبات أو غيرها، مع علمها بعدم القدرة على السداد، مما يجعلها تُضيّع واجباً في سبيل تحقيق مستحب، أو حتى أمر مشروع في غالب الأحيان.

٣ ـ على المرأة الداعية أن تجتهد بفعل الأسباب لحل هذا العائق؛ ومن ذلك:

أ ـ الاتصال بالمؤسسات الخيرية، لتبني هذه الفكرة الدعوية، وتمويلها مادياً.

ب ـ عرض هذا المشروع على أحد المحسنين، ليقوم بتبنِّيه مادياً، وخاصة إذا كان من المحارم المقتدرين.

جـ ـ ابتكار طرق تقوم بها المرأة بنفسها، حتى توفر مبلغاً مالياً، يقوم بهذا المشروع، وكم هو جميل حينما يكون من عمل يد المرأة؛ ومن ذلك: أن تعمل أعمالاً مهمّة، يحتاجها الناس، كالطباعة على الحاسب الآلي، وتصميم الفلاشات الدعوية، أو ممارسة الخياطة، ونحو ذلك، وتستغل العائد المادي لتأمين متطلبات الدعوة، وللداعية أسوة في أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها التي قالت فيها عائشة رضي الله عنها: «وكانت أطولنا يداً: زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتَصَّدق»(١).

ولن تعدم المرأة وسيلة ناجحة بإذن الله متى ما صدقت النية.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٠)، ومسلم (٢٤٥٢).

الحادي والعشرون

الخشية من آفات القلوب، كالعُجب والرياء، ونحو ذلك

هذا العائق قد يكون من أكثر العوائق شيوعاً، وخاصة عند الأخوات الداعيات، وليست المشكلة أن يكون هذا العائق سبباً في الامتناع عن سلوك طريق الدعوة، بل ربما كان سبباً في عدم ظهور الداعية، مع وجود المصلحة في ذلك، وقد يكون سبباً في التقليل من مناشطها الدعوية، مع قدرتها على ما هو أكثر.

ومن خلال الاستبانة أيدت ما مجموعه ٣٨٪ كونه عائقاً، و٢٤٪ أحياناً، و٣٧٪ أبدين عدم الموافقة.

ولعلاج هذا العائق أقول:

١ ـ يجب أن تعلم الداعية أن هذا الأمر هو من تلبيس الشيطان وتزهيده؛ لأن الشيطان إذا فات عليه حظه من الإنسان من جهة المعصية، أتاه من جهة الزهد والطاعة، ومن ذلك: تزهيده في الطاعة، بحجة عدم الوقوع في العُجب والرياء، وربما أوحى لكِ أنه ليس

من الحكمة الإتيان بمندوب، وهو الدعوة إلى الله تعالى مع التلبّس بمرض من أمراض القلوب، كالعُجب والرياء. فلْتكوني أيتها الداعية إلى الله على حذر من هذا التلبيس من إبليس وأعوانه.

مجاهدة النفس على الإخلاص؛ وذلك لأن الإخلاص يحتاج تحصيله إلى مجاهدة، قال أحد السلف: «ما جاهدت شيئاً أشد عليّ من نيتي»[(١)]، ولتكثر الداعية من سؤال اللهَ الإخلاص. ويجب أن تعلم الداعية إلى الله أنها لن تبلغ حقيقة ذلك، حتى يكون الناس عندها كالصبيان أو المجانين؛ لأن هؤلاء في الغالب لا ينتظر أحد منهم ثناءً ولا مدحاً لعدم فائدة ذلك منهم.

٣ ـ أن تعلم الداعية إلى الله تعالى أن ترك الدعوة إلى الله تعالى خوفاً من هذا العائق، وهو الرياء، ليس هو سبيل الخلاص، ولذا قال الفضيل بن عياض رحمه الله[(٢)]: «العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما». فالداعية إلى الله تعالى حينما تترك مجال الدعوة إلى الله خوفاً من

---

(١) ينظر: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٣١٧).
(٢) كما في «تهذيب الكمال» (٢٣/ ٢٩١).

العُجب، والرياء، فهي قد وقعت في الرياء حقيقة؛ أي إنها وقعت فيما هربت منه.

٤ ـ على الداعية إلى الله ﷻ أن تعلم أن ما يطرأ بعد انتهاء العبادة من ثناء الناس عليها، فإنه لا يؤثر عليها شيئاً، اللهم إلا أن يكون فيه عدوان، كالمنّ والأذى، فإنَّ هذا العدوان يكون إثمه مقابلاً لأجر الصدقة، فيبطلها، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة، وليس من الرياء كذلك أن يُسَرّ الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، فذلك دليل على إيمانه، قال ﷺ: (من سرته حسنته، وساءته سيئته، فذلك المؤمن)[١]، وقد سُئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: (تلك عاجل بشرى المؤمن)[٢].

فمعرفة الداعية إلى الله مثل هذه المسائل يُضَيّق على الشيطان مجراه في التلاعب بها بتركها الدعوة بحجة الهروب من الرياء والسمعة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الثاني والعشرون

المواصلات

وهذا العائق أيدته من خلال الاستبانة نسبة كبيرة جداً، حيث بلغت النصف تقريباً، فقد أيدت كونه عائقاً عن ممارسة الدعوة ٤٩٪، و٣٥٪ أحياناً، و١٥٪ أبدين عدم الموافقة.

وتختلف درجة هذا العائق؛ فقد يكون عائقاً بالكلية عن القيام بعمل الدعوة إلى الله تعالى، وقد لا يكون عائقاً، لكن يحتاج تأمين المواصلات إلى جهد كبير، قد تتعطل بسببه بعض المشاريع الدعوية، أو جزء منها، نظراً إلى عدم حضور الأخت الداعية إلى مكان الدعوة، أو بسبب المواصلات، مع الاتفاق المسبق مع من يوصلها، ولكن لظرف طارئ تخلّف من يريد إيصالها.

من ناحية أخرى قد لا يكون موضوع المواصلات عائقاً بالكلية، ولكنه قد يؤدي إلى تأخر الأخت الداعية عن الحضور لمكان الدعوة أو الرجوع إلى بيتها، نظراً إلى طول المسافة الفاصلة بين منزلها ومكان دعوتها،

فيكون هذا دافعاً للأهل أو الزوج إلى منعها من الدعوة إلى الله.

وقد يكون التنحّي عن الدعوة إلى الله من قناعة داخلية من الأخت الداعية نفسها بعدم الذهاب والانقطاع عن الدعوة إلى الله تعالى حينما نلحظ تفريطها في تربية أبنائها أو الاهتمام بزوجها وبيتها.

ولعلاج هذا العائق ـ ولن أفصل في العلاج بحسب ما سبق من تقسيم درجات هذا العائق ـ سأورد عدة حلول، تستقي منها الداعية إلى الله تعالى حلولاً، بحسب درجة العائق، فأقول:

١ ـ على الأخت الداعية التركيز على إيجاد بيئة مناسبة للدعوة إلى الله تعالى تتوفر فيها قرب المسافة، تستغل عن طريق ذلك عامل الوقت، فتقتصر في الدعوة إلى الله تعالى على حيّها مثلاً، وعدم الانتقال لحي آخر. كذلك تقتصر على مدينتها، دون التوجه إلى مدن أخرى، قد تعرقل وظيفتها كأم وزوجة. إنني لا أريد أن تفهم الأخت الداعية إلى الله تعالى أن تحجم عن نشر دعوتها، وأن تصل إلى أكبر قدر ممكن من اجتماعات النساء، فهذا مطلب ولا شك، ولكن مواجهة هذا العائق ـ أعني: عائق المواصلات ومدافعته ـ قد تخرج عن

حدود الداعية إلى الله وسيطرتها، وقد يؤدي ذلك إلى فتور الأخت الداعية، وانقطاعها بالكلية، وهذا هو ما أخشاه عليها.

٢ ـ مطالبة الداعية إلى الله الجهة التي تقوم بهذا العمل الدعوي، تأمين وسيلة المواصلات. وإنني من هذا المنطلق أوجه نداءً للقائمين على الأعمال الدعوية أن يُولوا هذا الجانب اهتماماً أكبر؛ لأنه يمثل عقبة كبيرة في أوساط الدعوة النسائية، ولكن كثيراً من الرجال قد لا يستشعر هذه العقبة لعدم تصور أهميتها.

٣ ـ إن لم تستطع الداعية إلى الله تعالى التغلب على هذه العقبة، أو التوفيق بينها وبين عملها التطوعي الدعوي، وبين واجبها الأسري، بحيث طغى المهم على الأهم، فإنني أدعوها إلى ترك الدعوة إلى الله خارج منزلها، وتتفرغ لمنزلها وأبنائها وزوجها؛ لأن هذا واجب، وغيره إنما هي أعمال مسنونة في الجملة تؤجر عليها. ومع ذلك فالبديل موجود، وهو الدعوة إلى الله داخل المنزل، بدعوة زوجها وأولادها، ودعوة الجارات حال الاجتماع معهن، والدعوة إلى الله عن طريق الشبكة العنكبوتية، وغيرها، ولن تعدم المرأة خيراً إذا صدقت عزيمتها، وتوكلت على ربها.

الثالث والعشرون

عدم تَدَيُّن الأسرة

وهذا معوق كبير وواسع؛ لأن الأسرة هي الدافع القوي للإنسان. ومن خلال الاستبانة أيدت ما مجموعه ٣٥٪ كونه عائقاً، و٣٥٪ أحياناً، ولم توافق ٢٨٪ على كونه عائقاً.

ويتبين أثر هذا العائق من عدة نواحٍ منها:

أ ـ عدم تقدير الأهل لعمل ابنتهم الدعوي، وبالتالي: عدم مراعاة مواعيدها الدعوية، فربما طلبوا منها الخروج معهم، حتى ولو كان لديها محاضرة.

ب ـ ربما أدى عدم تديّن الأسرة واستشعارهم لأهمية الدعوة إلى الله، إلى منع الأخت الداعية من المناشط الدعوية تحت دعوى أنها أمور هامشية بحسب نظرتهم، وهم إنما يفعلون ذلك، ليأمنوا عدم إزعاجها لهم، ودعوتها لهم بترك المنكرات، فيرون أن عزلها عن الأخوات، ومناشط الدعوة يؤدي إلى فتورها، فيأمنوا جانبها، هكذا زعموا!

جـ ـ ربما كان عدم تديّن الأسرة سبباً في عدم تأمين متطلباتها الدعوية من تأمين الأشرطة، والمطويات وغير ذلك من وسائل الدعوة إلى الله، والذهاب بها إلى مكان دعوتها، ونحو ذلك من الممارسات.

ولعلاج هذا العائق أقول:

١ ـ أول خطوة للنجاة: أن تعمل الداعية بقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، حتى يكون الطريق أمام الداعية إلى الله مُمهّداً وسهلاً.

٢ ـ الزمي الدعاء، أختي الداعية؛ فكم نحن بحاجة إلى الدعاء في كل أمر من أمورنا، وحاجتنا إلى الدعاء عند كل عائق، وخاصة عند هذا العائق، اسألي الله تعالى بصدق أن يُسَخّر لك أهلك، وأن يستشعروا الوظيفة التي تقومين بها، وتأملي في أمر زوجة فرعون، التي عاشت في بيت طاغية، يدّعي الألوهية من دون الله ﷻ حينما رفعت أكف الضراعة إلى الله، داعية، ونجَّاها من زوجها وقومها، فاستجاب الله دعاءها.

٣ ـ كم هو جميل أن تُظهر الداعية إلى الله مشاعر المحبة لأهل بيتها، تظهر حبها وشفقتها لهم، لا

احتقارها وازدراءها لأهل بيتها. ويجب على الداعية إلى الله أن تُعرف بين أهلها بحب الخير والمساعدة والشفقة، فتصل رحمها، وتصلح بين المتخاصمين، مع مساعدة أهل بيتها، هذا غير إظهار البرّ للوالدين، ومحاولة تجنب دعائهما عليها، أو غضبهما، ليظهر عند أهلها تلازم بين حسن خلقها وتديّنها، ودعوتها، وعلماء التربية يقولون: لإقناع الشخص بما لا يقتنع به، اربطه بأمر يحبه.

٤ ـ محاولة كسب بعض أفراد الأسرة للسير في مجال الدعوة، ولو على نطاق خفيف، فكل إنسان ـ ولا شك ـ عنده نوازع خير في جهة دون غيرها، فقد تجدين ـ أختي الداعية ـ من أفراد الأسرة من يتحمس للعطف على الفقراء والمساكين، فاستثمري هذا الجانب منه، وقد يكون الآخر لديه اهتمام بإعمار المساجد، أو حفر الآبار، ونحو ذلك، فبادري باستثمار هذا الجانب أيضاً، ولن تعدمي جانب خير في كل فرد من أفراد الأسرة، ولكن ذلك يحتاج إلى عين فاحصة تكتشف ذلك.

الرابع والعشرون

عدم استشعار المسؤولية للقيام بهذا الواجب

من خلال الاستبانة ذكرت ما نسبته ٥٩٪ أنه عائق من العوائق، و١٧٪ أحياناً، و٢٣٪ أبدين عدم الموافقة.

ومن خلال تأملي لندرة الداعيات اللواتي يحملن هم الدعوة إلى الله تعالى، أجزم يقيناً أن عدم استشعار مسؤولية تبليغ دعوة الله، والهمّ لتبليغ هذه الأمانة هو قاسم مشترك في التخلف عن القيام بهذا الواجب؛ لأن الملحوظ على عموم الناس عدم تقصيرهم في أمور معاشهم ودنياهم، ويستوي في ذلك الذكر والأنثى؛ لأنهم استشعروا أهمية هذا الجانب.

وللنساء من هذا الهم نصيب كبير، حيث تحرص الواحدة منهن على تكميل أمور دنياها، ليس في الأساسيات فحسب، بل ربما تعدّى ذلك إلى أمور الكماليات، فتحرص الواحدة منهنّ مثلاً على أن تكون ألوان لبسها وحقيبتها وحذائها واحداً، تبذل في سبيل ذلك وقتاً وجهداً ومالاً كبيراً، وما ذاك إلا لشعورها

بأهمية هذا الجانب في حياتها، فضلاً عن مشروعيته أو عدم مشروعيته.

ولعلّي من باب المشاركة لإذكاء نار الشعور بالمسؤولية، أنطلق من آية من كتاب الله تعالى، أحسب أنها ـ إن شاء الله ـ ستكون الشرارة الأولى لمن قعدت عن مسؤولية تبليغ دين الله، لعدم استشعارها أهمية هذا الجانب، قال تعالى عن سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٠ ـ ٢٥].

ذلكم هو الهدهد، لم يكن من عالَم الإنسان، إنه طائر شرّفه الله تعالى بهذا العمل العظيم، وخلّد ذكره في القرآن الكريم إلى يوم القيامة، قطع المسافات، رحل من الشام إلى اليمن، ليس لرغبة في جسده أو نزوة في

نفسه، بل كان في سبيل الله، في رحلة استكشاف دعوية، هدفها: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ويظهر ذلك واضحاً في استنكاره وتعجبه: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .﴾.

إنا لا نطالبك أيتها الداعية برحلة كهذه، وإن كان هذا ليس بكثير على دين الله ﷻ، ولكننا نطالبك باستشعار المسؤولية، ودعوة الأقربين ممن هم حولك ممّن وصولك إليهم لا يكلفك رحلة كهذه ولا عنتاً، ولا مشقة، فواعجبا! أيكون الهدهد أغيرَ منا على عقيدة التوحيد؟!.

وفي قصة الهدهد مع سليمان عليه الصلاة والسلام وقفات كثيرة جداً، من أهمّها: وجوب استشعار المسؤولية، والقيام بهذا الواجب، كل واحد بحسبه؛ لأن العمل للدين مسؤولية الجميع، فكل مسلم له وظيفة في النصرة مهما كان موقفه أو مركزه.

وكل مسلم يُحتاج إليه، بغض النظر عن قدر عطائه وبذله، ويبلغ أهمية مشاركة المرأة في مجال الدعوة إذا علمنا أن قيادات العمل الإسلامي من الدعاة، لا تستطيع القيام بكل الخطط، وبكل الأهداف والوسائل، وبخاصة ما كان منها في مجال المرأة، مما يستلزم معه

شعور المرأة بالمسؤولية، وهذا نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام مؤيَّدٌ بالوحي من جهة، وسُخرت له الجن والطير، ولم يكن قادراً على الإحاطة بجميع الأمور، ولم يكن ملمّاً بجميع المعلومات، فاحتاج إلى معلومة صغيرة من طائر صغيرٍ، فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾، فكانت إيجابية التابع ـ وهو الهدهد ـ حينما استشعر المسؤولية، عوناً لسليمان ﷺ، وكم يحتاج الدعاة إلى الله تعالى إلى جهد الداعيات لاستجلاء ما خفي عليهم مما يقع في أوساط النساء، فالمرأة هي حلقة الوصل في ذلك..

أيتها المرأة المسلمة: كم أنت بحاجة إلى الوقوف مع قصة الهدهد مع سليمان ﷺ، ففيها من العبر والدروس الشيء الكثير، أختي الداعية أنا أناديك وأقول لك: لا يكن الهدهد أغيرَ منك على دين الله تعالى.

الخامس والعشرون

الفجوة بين الداعية وعامّة النساء

من خلال الاستبانة تبين أن نسبة من يرين هذا السبب عائقاً في مجال الدعوة إلى الله ٢٦٪، و٣٢٪ أحياناً، و٢٢٪ أبدين عدم الموافقة.

وقد تبين لي من خلال شكوى بعض الأخوات الداعيات أن هناك فجوة بينهن وبين عامة النساء، وخاصة القريبات حال الاجتماع. فهن كما تقول بعض الأخوات يتعلّلن بعدم رغبتهن بالبرامج الهادفة؛ لأنهن إنما اجتمعن للمؤانسة، وبالتالي يحصل هناك نفرة بين الداعية وبينهن. ولهذه الفجوة أسباب؛ أذكر منها:

١ - تركيز بعض الداعيات على بعض المخالفات التي تقع فيها الحاضرات، والحديث عنها بأسلوب مباشر، مما يوقع بعض النساء في حرج من حديث الأخت الداعية، فتعترض بعض الحاضرات على إقامة مثل هذه البرامج تجنباً للحرج، وهن يتعلّلن بأنهن إنما حضرن لصلة الرحم وليس لأمر آخر.

٢ ـ ربما كان من أسباب ذلك أيضاً: أن بعض الأخوات الداعيات يتخذن في أسلوب دعوتهن المحاضرة الوعظية فحسب، ولا تُنوّع في أساليب دعوتها. وهذا الأسلوب قد يكون غير محبب لدى شريحة كبيرة من النساء.

٣ ـ اتخاذ موقف العداء من قبل الداعية لمن تقف في وجهها حال دعوتها، فينتقل الأمر إلى تصفية حسابات، فكل طرف يحاول التغلب على الآخر مهما كان الثمن. وفي رأيي أن ردم هذه الفجوة يحتاج إلى حنكة من قبل الداعية. ومن خلال أسباب الفجوة التي ذكرتُها من قبل يمكن أن يكون أسلوب العلاج من خلال الخطوات الآتية:

١ ـ ترك الأسلوب المباشر في تصحيح بعض الأخطاء التي تقع فيها بعض الحاضرات، واستخدام الأسلوب غير المباشر في علاجها. ويمكن أن يتخذ أسلوب المناصحة الفردية مثلاً، خاصة إذا كان هذا الاجتماع عائلياً، ولا سيما إذا كانت أغلب الحاضرات ينتشر بينهن هذا المنكر.

٢ ـ عدم التركيز على الأسلوب الوعظي والنقدي فقط، ويمكن أن يُستبدل ذلك بذكر قصة مع بعض

الوقفات المستنبطة منها، فهذا أدعى للقبول؛ لأن أسلوب القصة أسلوب مُحبّب ومشوّق للنفوس، أو يكون ذلك من خلال عمل مسابقة أسرية على شريط جذّاب أو مطوية أو كتيب، وترصد له جوائز قيمة، مع ترتيب حفل مُصغّر لتوزيع الجوائز.

٣ ـ يجب على الداعية ألا تتخذ أسلوب العداء مع من تقف في وجه دعوتها، بل عليها أن تصبر عليها؛ لأن الداعية لا تدعو إلى حظّ نفسها، وإنما تدعو إلى دين ربها، كم هو جميل أن تتخذ أسلوب الهدية مع الابتسامة، ونحو ذلك، طريقاً لجذب تلك النفس المناوئة.

جرّبي أختي الداعية، وستجدين أنك استطعت بهدوء سدّ تلك الفجوة التي أصبحت عائقاً من العوائق بينك وبين طريق الدعوة إلى الله تعالى.

السادس والعشرون

الهزيمة النفسية

من خلال الاستبانة أيدت ما مجموعه ٥١٪ كونه عائقاً، و٢٧٪ أحياناً، و٢١٪ أبدين عدم الموافقة.

ويبدو لي أن نشوء هذا العائق إنما كان بسبب كثرة المنكرات وفشوّها، وقلّة الناصحات في أوساط النساء، مع تمييع بعض القضايا من قِبل بعض الدعاة، مما جعل صاحبات المنكر، يتصدَّرن الاجتماعات النسائية، وبناءً على ذلك انهزمت نفسية كثير من الداعيات، حيث آثرن الانعزال عن تلك الاجتماعات، ومما لا شك فيه أن هذا حل خاطئ، خاصة إذا كانت الداعية تستطيع بحضورها إزالة المنكر، أو الإنكار، ومن ثم: الخروج إذا لم يزل المنكر كما هو مقرَّر شرعاً.

وعلاج هذا العائق من خلال أمور؛ أذكر منها:

١ ـ أن تتأمل الأخت في سيرة الأنبياء والصالحين من الدعاة إلى الله تعالى، لترى كيف اعتزّ هؤلاء بدينهم، مع شعورهم أنهم على حق، ما داموا تحت

لواء هذه الشريعة المباركة، وهذا هو الذي تحتاجه الداعية إلى الله تعالى.

٢ ـ لا بد من اللقاء المستمر بين الأخوات الداعيات؛ وهذا يَحدّ من الهزيمة النفسية، ويرفع المعنويات؛ لأن الداعية حينئذٍ تشاهد بأم عينها أنها ليست في الميدان لوحدها.

٣ ـ النظر بعين التفاؤل للمجتمع، فما زال المجتمع يحمل في طياته خيراً كثيراً، بحمد الله تعالى، حتى وإن غفل بعض الناس، فهم يحملون قلوباً سليمة، تنبض بالخير وحب أهله، هذا في غالب الأحيان، وأما الشاذ من أهل النفاق والعلمنة، فلا حكم لهم، أو أنهم شرذمة قليلون، لا ينبغي قياس المجتمع من خلال هؤلاء، هذه النظرة لا شك ستزيل الهزيمة النفسية لدى بعض الداعيات ممن يحملن مثل هذا التصور.

٤ ـ ينبغي على الأخت الداعية أن تعلم علم اليقين أن العصاة ينظرون بعين التقدير والاحترام إلى أهل الطاعة، فضلاً عن الدعاة والداعيات، حتى وإن أظهر هؤلاء بألسنتهم خلاف ما تُكنّه قلوبهم من محبّة أهل الصلاح، وتمني الوصول إلى مرتبتهم، هذا التصور

يعطي الأخت الداعية دَفعة لتجاوز آثار الهزيمة النفسية، حينها تنطلق في أوساط بنات جنسها وهي غير هَيَّابة ولا وَجِلَة.

السابع والعشرون

اختلاف فتاوى العلماء واحتجاج المدعوّ بآخر

من خلال الاستبانة أيدت ما نسبته ٣٤٪ كونه عائقاً، و٣٣٪ أحياناً، و٣٢٪ أبدين عدم الموافقة.

وهذا العائق إنما نشأ متأخراً، ولكنني أجزم أنه بعد فترة ليست بالطويلة، سيتحول هذا العائق إلى أمر مُسلّم به، وسنجد التنحّي عن الدعوة والإنكار من باب «وللناس فيما يعشقون مذاهب»، خاصة إذا صاحَبَ ذلك وجود فئة تُنكر على من يُنكر عليها، بحجة أن في المسألة خلافاً بين العلماء، وأن الدين يسر. وإنما نشأ ذلك مع ظهور ما يسمى بفقه التيسير، وهو لا يعدو أن يكون فقهاً للتمييع، وتتبعاً للرُّخَصِ. أنا لا أنكر أن هناك مسائل يسوغ فيها الخلاف، ولكنها ليست بالكثرة التي تترك بسببها الدعوة إلى الله، والإنكار على المخالِفة بحجة أنها تتبع رأي عالم آخر، ويبقى الباقي اتباع الهوى، وانغماس في الرخص حتى الثّمالة، حتى أصبح

البعض ينكر على من أنكر على أحد في المسائل الفرعية، ويقصر الإنكار على المخالف في مسائل العقيدة فحسب، وهذا لَعَمْرُ الله شرود عن الحق، وانغماس في الهوى، وتنصّل عن الشرع باسم الشرع.

لست بصدد الحديث عن مسلك أصحاب فقه التيسير المُعْوَجّ، ولكنني بصدد إزالة هذا العائق أمام الداعية إلى الله تعالى بالأمور التالية:

١ ـ يجب أن تفرق الداعية إلى الله بين المسائل الفرعية التي يسوغ فيها الخلاف، والتي لا يسوغ فيها الخلاف، وإن لم تعرف ذلك، فالمرجع في ذلك إلى أهل العلم والمعرفة، وهذا لا يعني عدم إبداء الأخت الداعية ما معها من الحق، ولكن العذر في هذه المسائل يكون أكبر مساحة مع المخالِفة من غيرها من المسائل.

٢ ـ يجب على الأخت الداعية كذلك أن تفرق بين مدعوة ملتزمة بأمر دينها، لكنها رأت الحق في هذه المسألة مع العالم الفلاني دون الآخر، وليس بديدن لها اتباع الرخص والزلّات، وبين أخرى همها تتبع رخص أهل العلم وزلّاتهم، قائدها في ذلك اتِّباع الهوى والنفس والشيطان.

٣ ـ لا يجوز للأخت الداعية أن يتسلل إلى نفسها

ترك واجب الدعوة إلى الله تعالى بحجة هذا العائق، فما زال الصحابة ينكر بعضهم على بعض، في مسائل فرعية، ومن ذلك: ما ورد في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد، فلا يمنعها». قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبد الله، فسبه سباً سيئاً، وما سمعته سبّه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله لنمنعهن![1].

(١) أخرجه مسلم (٤٤٢).

الثامن والعشرون

الصحبة

من خلال الاستبانة التي أجريت أيدت ما نسبته ٥٦٪ كونه عائقاً من العوائق، و٢٤٪ أحياناً، و١٩٪ أبدين عدم الموافقة.

ويُقصد من هذا العائق صحبة البطّالات، والتي ربما كانت سبباً في منع صديقتها من الدعوة، إما بسلبيتها وعدم تشجيعها، وربما كان ذلك عن طريق تخذيلها، إذا رأت منها سلوكاً لطريق الدعوة إلى الله تعالى.

وأعتقد أن علاج هذا العائق لا يحتاج إلى كبير عناء ولا ذكاء، فالحل يكمن في تغيير تلك البيئة إلى بيئة أخرى تُشبع توجه الأخت الداعية، وتكون عوناً لها على سلوك طريق الدعوة إلى الله ﷻ.

يجب على الأخت الداعية التي تَنشد السير في رَكْب الصالحات أن تترك صحبة الفارغات اللواتي لا يتعدّى اهتمامهن المآكل والمشارب والمساكن والزينة.

ولأهمية الصحبة الصالحة وأثرها في إعانة الإنسان على الترقي في سلّم الخير، خاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ، وهو أعبد الناس، وأتقى الناس، وأكثر الناس شعوراً بالمسؤولية، خاطبه الله تعالى أن يلزم نفسه رفقة تعينه وتثبّته، حيث قال: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: ٢٨].

فإذا كان النبي ﷺ يؤمر بذلك، فغيره من باب أولى وأحرى أن ينادَى بذلك، ولا أعتقد أن الأخت التي تريد سلوك طريق الدعوة إلى الله يعجزها ذلك، خاصة مع وجود الأخوات الداعيات في كل بلد، فهذا العائق من أكبر العوائق في طريق الدعوة شيوعاً، ولكنه من أخفّها، وأسهلها علاجاً بحمد الله تعالى.

التاسع والعشرون

التحمس العاطفي دون اتزان

من خلال الاستبانة أيدت ما نسبته ٥٧٪ كونه عائقاً عن الاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى، و٢٨٪ أحياناً، و١٣٪ أبدين عدم الموافقة.

ونعني بهذا العائق: الاندفاع من قِبل الداعية إلى الله تعالى في دعوتها، دون أُسس علمية ولا تربوية. ولهذا نجد بعض الداعيات إلى الله تعالى قد يغلبها الحماس غير المنضبط بضوابط الشرع، فلا تكون دعوتها مبنية على فهم الكتاب والسنة ومقاصد الشرع، ومن جهة أخرى، نجد أن بعض الأخوات لا تراعي في دعوتها الأسس القائمة على فقه الدعوة إلى الله تعالى.

وعلاج هذا العائق لا بد فيه من مراعاة قضيتين أساسيتين؛ هما:

١ ـ يجب على الأخت الداعية أن تراعي في دعوتها أن تكون منطلقة من خلال فهم الكتاب والسنة، ومعرفة مقاصد الشرع، وعلى أقل الأحوال: أن تكون

عالمة بما تأمر به وتنهى عنه، حتى وإن خفي عليها جانب من الأحكام الشرعية الأخرى، وهو ما ألمحتُ إليه عند عائق التحجج بقلة العلم(١)؛ لأن من شأن مراعاة هذا الضابط يكون أدعى إلى قبول كلام الداعية لدى المدعوين؛ لأنها منطلقة من خلال فهمها للكتاب والسنة، وقد أُمرنا بالتحاكم إليهما عند وجود الخلاف. وفقد هذه الركيزة سيؤدي إلى أن تكون دعوة الأخت من خلال حماسة غير منضبطة، مما يجعلها محل عدم قبول عند الآخرين، وبالتالي يؤدي بها المطاف في نهاية الأمر إلى ترك هذا الطريق، وأعني بذلك: طريق الدعوة إلى الله تعالى.

٢ ـ لا بد أن تراعي الأخت الداعية الأسس والقواعد في طريق الدعوة إلى الله تعالى، من ناحية مراعاة المصالح ودرء المفاسد، ولا يكفي في الأخت الداعية غيرتها على محارم الله أن تنتهك، وإن كان هذا يُحمد من الداعية، بل هو وقود الداعية في طريق الدعوة إلى الله تعالى.

ولعلّي أضرب مثالاً واحداً حتى يتبين أهمية فقه

---

(١) يراجع العائق الخامس (ص٣٦).

هذا الجانب من خلال قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فمما لا شك فيه أن سب آلهة المشركين قُربة، يتقرب بها العبد إلى ربه، وفيها مصلحة للتنفير منها، ولكن لما كان ذلك يؤدي إلى مقابلة المشركين بسبّ الله تعالى، نهى الله تعالى المؤمنين عن ذلك، فلعلكِ تلاحظين أننا أُمرنا بترك مصلحة، وهي سبب آلهة المشركين، لما يترتب على ذلك من مفسدة، وهي سبّ الكفار لله ﷻ، وهو ما يعبر عنه بقاعدة: درء المفاسد مُقدّم على جلب المصالح.

وهذا باب واسع تحتاج معه الأخت الداعية إلى الله ﷻ أن تنظر في بعض الكتب المؤلفة في أساليب وطرق الدعوة إلى الله تعالى، وحاجة الداعية إلى الله تعالى لهذه الكتب ماسة وشديدة، حتى تكون دعوتها على هدى وبصيرة، وحتى تضمن استمرارها في هذا الطريق، وحتى يكون لدعوتها ثمرة واضحة بإذن الله تعالى.

الثلاثون

عجز الداعية عن إعداد مادة علمية

من خلال الاستبانة أيدت ما نسبته ٣٠٪ كونه عائقاً، و٤٠٪ أحياناً، وقالت ٢٩٪ بعدم الموافقة.

ونعني بهذا العائق عدم قدرة الداعية على إعداد مادة علمية تعينها على إيصال دعوتها. ويظهر هذا العائق، حينما يكون البرنامج الدعوي للأخت الداعية: محاضرة، أو مسابقة تحتاج إلى مادة علمية لإعدادها.

ويمكن علاج هذا العائق من خلال طرق كثيرة، أقتصر على اثنتين منها لأهميتها:

١ ـ سبق أن قلنا: إن الدعوة إلى الله تعالى لا تُحصر في مجال معين(١)، فإذا لم تستطع الأخت الداعية أن تسلك طريق المحاضرة مثلاً في دعوتها، فهناك وسائل أخرى تستطيع من خلالها أن تنتظم في صفوف الداعيات.

---

(١) تقدم ذكر شيء من بعض وسائل الدعوة عند العائق الثالث فيراجع (ص٢٤).

٢ ـ إن كان لدى الأخت قابلية التعلّم لإعداد المادة العلمية لبرنامجها الدعوي، فلديها بحمد الله تعالى وسائل كثيرة تستطيع من خلالها الاستعانة بها، لإعداد مادتها العلمية؛ ومن ذلك:

أ ـ الأشرطة والكتيبات والمطويات، فبإمكان الأخت الداعية أن تستعين بعد استعانتها بالله، ببعض هذه الوسائل.

ب ـ استشارة من سبقها في مجال الدعوة إلى الله من الدعاة والداعيات.

جـ ـ أن تَعْمد الأخت الداعية إلى تفريغ شريط مثلاً يتحدث عن الظاهرة التي تريد الحديث عنها، فيصبح محاضرة، ومن ثم تقوم بإلقائها، مع إضافة ما تريد، وحذف ما لا تريد، ولا شك أن هذه الطريقة تعطي الأخت الداعية التمرين على كيفية إعداد المادة العلمية.

وبالجملة، لا بد من إبداعات قد تكون متعثّرة مرة، لكنها تكون ـ مع مرور الوقت ـ منطلقة حلوة، وكما قيل: مراراتُ المبادئ حلاواتٌ في العواقب.

الخاتمة

وبعد، فهذا ما تيسّر جمعه بحمد الله تعالى، حرصتُ فيه ـ بقدر الإمكان ـ على ذكر أبرز العوائق التي تقف أمام الداعية إلى الله تعالى، مع ذكر بعض من خطوات العلاج، فما كان من صواب، فذلك من فضل الله، وما كان من خطأ، فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه.

على أنني سأحرص بمشيئة الله تعالى على إخراج الجزء الثاني من العوائق، ومن هنا، فهي دعوة للإخوة والأخوات لموافاتي ببعض ما يرون من عوائق صادفتهم في طريقهم الدعوية حتى نتمكن بإذن الله تعالى من إخراجها، سائلاً المولى ﷻ أن ينفع بهذه الرسالة من كتبها، وقرأها، وساهم في إخراجها ونشرها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، والله تعالى أعلم.

كتبه:
خالد بن إبراهيم الصقعبي
للمشاركة فاكس: ٠٦٣٨١٠٥٥٨
صندوق بريد: ٣٩٣٨ القصيم ـ بريدة.